نســـاء العندليـــب

زوجة .. حبيبة .. عشيقة .. شقيقة .. صديقة ..
أم كلثوم، وسعاد حسني، ووردة، ونادية لطفي ..
وبطلات أفلامه ..

عنتر السيد

٢٠١٧

الناشر

www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة

أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي

سماح الجمال

المدير الفني

أحمد جابر

تصميم الغلاف

مصطفى الدناصورى

التصميم الداخلى

وليد محمد

دار النخبة

للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى

- الحي الأول- مدينة الشيخ زايد -

الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢

٠٠٢ - ٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥

E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

2017 - 26691

ISBN: 978 - 977 - 6580 - 39 - 8

الإهداء

إلى روح أمي الغالية التي غيّبها الموت قبل صدور هذا
الكتاب بأيام قليلة... إلى من كانت دعواتها نورًا وسندًا
لي في حياتي... ربنا يرحمك ويسكنك فسيح جناته.
وإلى زوجتي الحبيبة رفيقة دربي...
والى أبنائي الأعزاء: أحمد وجنة ونور.

قبل أن تقرأ

- حليم يبدأ علاقته الغرامية حادًا، وينهيها فاترًا جدًا، وتموت العلاقة بلا موعد.

- العندليب أحب بعدد أصابع يديه إلا أنه كان صادقًا بعدد شعر رأسه.

- نساء كثيرات ادعين أنهن كن حبيباته أو خطيباته أو زوجاته أو أمهات لأولاده.

- قصص حب تكشف أن حليم هو الصياد الماهر لفريسته، والفريسة أحيانا هي الضحية.

- انتقى الكثيرين من أصحاب الكلمة والعلم والثقافة، وكان قريبًا منهم.

- تقرب كثيرًا من أصحاب المواهب الحقيقية التي يستفيد منها وتستفيد منه فى الفن.

- كان ندًا للملوك والرؤساء الذين يجلس معهم، وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة خاصة.

- كان يتمتع بذكاء خارق يعرف إمكاناته ويحدد هدفه بدقة، ويثق فى الأصدقاء، ويبحث عن كل ما هو جديد وثمين.

- عندما فرض حضوره الفني صار العمل معه حلم كل بطلات السينما لأن أفلامه تحقق النجاح والشهرة.

- سعاد حسني تمنت أن تلعب دور شقيقته بدلًا من حبيبته فى فيلم (البنات والصيف).

- أحمد عثمان: «ربطتني بسعاد علاقة حب قوية، وطلبت منها الزواج وعشنا معًا فترة خطوبة، ورقصت معها وغار عبد الحليم».

- سعاد طلبت من حليم الاعتراف بالزواج، واعترفت لمفيد فوزي، وطلبت منه ألا ينشر حكاية زواجهما العرفي.

- وجدي الحكيم يؤكد أن حليم وسعاد تزوجا عرفيًا، لكنه لم يشهد إجراءات هذا الزواج.

- حليم كان تقدميًا جدًا فى أفكاره وأغانيه وأفلامه، أما فى حياته الخاصة فكان شديد الرجعية.

- سعاد أحبت حليم وحتى آخر يوم فى عمرها، وهو أيضًا أحبها حتى آخر لحظة فى حياته.

- هل زواج حليم بسعاد كان مجرد إشاعة ترددت فى منتصف الستينات وكان الاثنان فى حاجة إليها؟

- مجدي العمروسي رفض الاعتراف نهائيًا بهذا الزواج، ومحمد شبانه أنكره لظروف عمه الصحية وشلة الأصدقاء.

- حليم فى اعترافاته: «لا أنكر أنني أحببت سعاد حسني، وكان من الممكن أن أتزوجها، لكن سعاد أحبت فنها أكثر».

- عبد الحليم كان لا يسمع أغنيات أم كلثوم على مدى ١٥ عامًا بسبب الخلافات والغيرة الفنية.

- حليم قدم لعبد الوهاب شريطًا مسجلًا عليه أغنية (دارت الأيام) لأم كلثوم كاملةً وبصوته غناءً.

- هل كان عبد الحليم يفار من أم كلثوم؟ وهل كان يريد اقتسام كعكة السلطة معها؟

- مصطفى أمين قال لحليم: «أم كلثوم هرم شامخ، وأنت فنان عظيم، ولكن هذا لا يسمح لك أن تطاولها القامة».

- اشتدت غيرة حليم عندما خطفت منه أم كلثوم الموسيقار بليغ حمدي ملحنه الخاص.

- عندما تجرأ عبد الحليم وقال رأيه فى إحدى أغنيات كوكب الشرق بدأت الغيرة بينهما.

- فاروق إبراهيم المصور الخاص بعبد الحليم الذي رافقه طوال مشواره الفني والتقط بمفرده ٣٣ ألف صورة للعندليب.

- شكى حليم أم كلثوم لعبد الناصر، وطلب أن يغني منفردًا فحدد له موعدًا فى عيد الثورة بالإسكندرية.

- الصراع بين الأجيال صراع فرضه القدر عليهم؛ فكل يحاول دائمًا وبكل الطرق المشروعة الدفاع عن نفسه.

- الجيل القديم سوف يدخل المعركة بكل قواه وثقله، وله من النفوذ الفني والأدبي الكثير.

- حليم يعتبر أم كلثوم الهرم الشامخ، وأن مجرد اعترافها بصوته هو وسام على صدره.

- كوكب الشرق تعلن الحرب على العندليب وأسرار الصلح فى فيلًا د. سيد كريم بالمعادي.

- خرج حليم من مكتب المشير عامر مكفهر الوجه وكاد يجهش بالبكاء، فقد طلب منه المشير أن يعتذر لأم كلثوم.

- حليم ووردة جمعتهما الصداقة والود وفجأةً توترت العلاقات، وبالطبع انحاز الموسيقار بليغ حمدي لزوجته على خلفية تلك الخصومة.

- المنافسات بين نجوم تلك المرحلة كانت تمر بتقلبات شرسة على يد ضباط الثورة، وجعلت الإشاعات وقودًا للخلافات بينهم.

- جملة موسيقية فى أغنية (أي دمعة حزن لا) ما إن سمعها حليم حتى ظل يبحث عن بليغ فى بيروت ليسجل اللحن بالقاهرة.

- قصة مؤامرة حفل الربيع بدأت فى الحفل، وأُحْبِطت بالقبض على من قاموا بتنفيذ المخطط المرسوم للمؤامرة.

- تطور الخلاف بين وردة وصوت الفن بعد أن أبلغها العمروسي أن عقدها انتهى ويجب تجديده.

- كان الجمهور يتسابق فى عد قبلات نادية لطفى من حليم فى (الخطايا) و(أبي فوق الشجرة).

- قبل تصوير (أبي فوق الشجرة) طلب حليم من المخرج حسين كمال استبدال هند رستم بنادية لطفي، وقبل المخرج.

- نادية لطفي: «عاصرت حليم وتأملته ورصدت جوانب حياته؛ فكان عظيمًا فى حلمه وفى انكساره، وكنت أراه بدرًا أو فى المحاق».

- ديدي؛ الحب الوحيد فى حياة حليم. بكاها عند الرحيل، وقال لن أتزوج بعدك امرأةً أخرى.

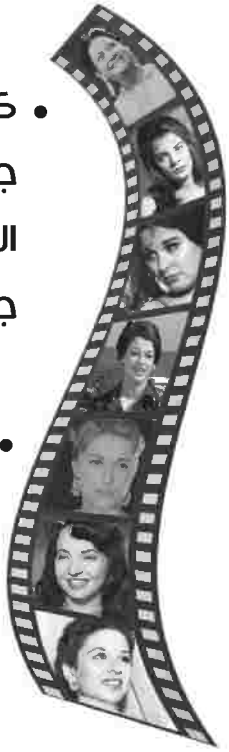

- كانت ديدي أو جيهان فتاةً جميلةً ورقيقةً جدًا، وتنتمي إلى عائلة كبيرة تقدس التقاليد الأرستقراطية وتبحث عن الشاب الذي يناسب جوهرتهم الغالية.

- تقدم العندليب إلى أهل ديدي، وما إن طرق باب بيت الحبيبة طالبًا خطبتها حتى واجه ستارًا حديديًا بينهما بعد رفض الأهل له.

- لمحت الحبيبة انكسار قلب حبيبها، ووعدته أنها لن تكون زوجةً لإنسان غيره مهما كان الثمن.

- أطباء عبد الحليم لم يمنعوه من الزواج إطلاقًا، بل نصحوه بدون إسراف فى النواحي الجنسية.

- نوال الحلوات أحبت حليم واعتقدت أنه يحبها، وماتت منتحرةً حزنًا على رحيل العندليب.

- قصة العندليب مع ليلى هي قصة قريبة الشبه بحكايته مع ديدي وكأنها قصة رُويت بطريقة أخرى.

مقدمة

على رغم مرور ٤٠ سنة على رحيل عبد الحليم حافظ، فإن حليم يكاد يكون أفضل تجسيد لمقولة (الغائب الحاضر)، تمامًا مثل العظماء الذين خلدهم التاريخ فى كل مجالات الحياة والتقدم الإنساني.

نشاهده فى أفلامه، ونستمع إلى أغنياته كأنها أعمال فنية جديدة؛ نتلهف لمتابعتها بشوق ومحبة، لا فرق فى ذلك بين الأجيال التي عاصرته حيًّا، والأجيال التي جاءت بعد رحيله وصولًا إلى الجيل الحالي؛ بدليل أن توزيع أغنياته تحتل إلى الآن المراكز الأولى فى الانتشار والتوزيع.

لكن ماذا عن النساء فى حياة عبد الحليم حافظ؟ ماذا عن حريم حليم؟ ماذا عن حرملك العندليب الفني والسياسي والعاطفي؟

فى هذا الكتاب نتابع قصص وحكايات حليم مع المرأة: حبيبة، وصديقة، وعشيقة، وشقيقة، وزميلة له فى الغناء وفى السينما. نقترب منه ونسبر أغواره ونكشف أسرارًا أكثر إثارةً برغم مرور ٤٠ عامًا على رحيله.

فقد عاش حليم الكثير من قصص الحب، وتصور البعض أنه كالفراشة التي تتنقل من غصن إلى آخر ومن امرأة إلى أخرى، ولكن الحقيقة أنه كانت بداخله قصة حب حقيقية عاش معها ولها وبها، وحاول جاهدًا إبقاء حبها بعيدًا عن أعين الفضوليين كعادة حليم أن يبقى حبه سرًّا.

وعندما شدا حليم بأغنيته الشهيرة (بتلوموني ليه) على شط الإسكندرية لم يكن ينظر إلى زميلته الفنانة مريم فخر الدين بطلة فيلمه (حكاية حب)، بل امتد ببصره إلى ما وراء الأفق لينظر فى عيني حبيبته الصغيرة التي أغلق الأبواب على قصة حبه لها فلم يعرفها حتى أقرب المقربين إليه.

وكان حليم يبدأ علاقته الغرامية حادًّا، وينهيها فاترًا جدًّا وتموت العلاقة بلا موعد. وإذا كان العندليب قد أحب ربما بعدد أصابع يديه إلا أنه كان صادقًا بعدد شعر رأسه.

(الرفاق حائرون.. يفكرون.. يتخيلون.. يتساءلون فى جنون.. حبيبتي من

تكون؟) هذا السؤال الذي حير الناس لسنوات طويلة امتدت ٤٠ عامًا بعد رحيله إلى جانب عمره الذي عاشه وحتى اليوم.

هناك نساء كثيرات ادعين أنهن كن حبيبات عبد الحليم أو خطيباته أو حتى زوجاته أو أمهات لأولاده، كما أعلنت امرأة تونسية منذ سنوات أنها قضت ليلةً مع عبد الحليم أثمرت ابنًا يعيش معها الآن. كقصة الصحفية الإيطالية التي ادعت على عمر الشريف أنه والد ابنها قريب الشبه منه بعد ليلة ساخنة قضياها معًا.

ولكن من خلال مذكرات حليم الشخصية قد تكتشف الكثير من الغرائب والعجائب فى بعض من قصص الحب التي ما زلنا نفتش عنها بين الأوراق القديمة والمبعثرة قصاصاتها هنا وهناك، وما بين كتب ومراجع وأشخاص على قيد الحياة من خلال حوارات خاصة، وأشخاص التقيناهم قبل الرحيل..

هناك قصص حب قد يكون حليم هو الصياد الماهر لفريسته، وقد تكون تلك الفريسة هي الضحية، أو قد يكون حليم هو الحبيب الهائم على وجهه أو المحبوب المكلوم الذي لم يستطع أن ينتصر لحبه.

ولكن كيف كان وصف حليم شخصيًّا لمشاعره نحو نسائه ونحو أحاسيسهن؟

هل كان حليم يقضي عمره بحثًا عن الحب أو بحثًا عن نغمة شجية معذبة تعزفها أنامل موسيقار رائع ليغنيها حليم بصدق مشاعره أمام جمهور صدقه بالفعل؟

لقد كان حليم من أصحاب الذوق الرفيع فى كل شيء، وكان يملك مقدرةً خاصةً على انتقاء الرحيق النافع شديد النقاء، بينما كان يلفظ سريعًا الشيء الذي يؤثر على موهبته، فقد انتقى الكثيرين من أصحاب الكلمة والعلم والثقافة، وكان قريبًا منهم ولم يترك نفسه للاختيار العشوائي الذي يضر به عندما يقع اختياره على الأصدقاء من الفنانين والمثقفين والكتاب والمخرجين.

كان يتقرب كثيرًا من أصحاب المواهب الحقيقية التي يستفيد منها وتستفيد منه من خلال الفن.

لم يكن يقف عند محطة لفترة طويلة، بل كان سريع التغيير والتجديد وكان مدركًا لكل الأشياء من حوله، وكان يسعى لتثقيف نفسه والارتقاء بمكانته حتى وصل إلى أن يقيم حوارًا مع كثير من الرؤساء والملوك، علمًا بأن هذه ليست مسألةً بسيطةً؛ فهناك فارق كبير بين أن

يكون هناك حوار بيني وبين زميل دراسة أو مهنة واحدة أو أن أقيم حوارًا مع ملك أو رئيس دولة مهمة بما يلزم ذلك من برتوكولات.

وفى هذه الحالة لم يكن حليم مجرد جليس هدفه الترويح عن الملك أو الرئيس، ولكن كان يصل إلى حد أن يكون ندًّا لمن يجلس معه، وهذه مسألة تحتاج إلى دراسة خاصة.

فعندما يصبح حليم مقربًا من المشير عامر ومن الزعيم جمال عبد الناصر وصديقًا لجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب السابق فإن الأمر يحتاج إلى دراسة. وهناك من يدرس البروتوكول من أجل لقاء لمرة واحدة مع رئيس أو ملك، فى حين أن حليم ابن قرية الحلوات الذي تلقى تعليمه الأول فى أحد الملاجئ يصبح ضيفًا عزيزًا على صالون الملوك والرؤساء.

وأنا أعلم جيدًا كيف كان يُعَامل حليم فى القصور الملكية وفى بيوت الرئاسة، فقد كان يذهب مثلًا بشكل متكرر لبيت عبد الناصر ويجلس مع الأسرة مكتملةً. فكيف اكتسب هذه الثقة؟ بالتأكيد كان شخصًا ذكيًّا لماحًا مرحًا، محبًّا للناس ومحبوبًا منهم، بالإضافة إلى لباقته وحسن خلقه وأشياء كثيرة يمكن استنتاجها من المقدمات السابقة.

حليم الفنان؛ كان يتمتع بذكاء خارق؛ يعرف إمكاناته ويحدد هدفه بدقة، وكل عمل جديد يقترب منه لا بد أن يدرسه ويتأمله جيدًا، ويجمع عنه المعلومات ويستشير فيه الزملاء والأصدقاء الذين كان يثق فيهم.

كان دائم البحث عن كل ما هو جديد وثمين فى الموسيقى والغناء والسينما والبشر؛ لا يعاند ولا يركب رأسه، ودائمًا يعود إلى العقول الكبيرة التي كانت تحيط به مثل كامل الشناوي، ومصطفى أمين، وعبد الوهاب، وإحسان عبد القدوس؛ الذي كان يحضر سهراته ودائم الإطلاع على رواياته وكان يستشيره أيضًا فى أغانيه وأفلامه.

الباب الأول:
سعاد حسني

زواج السندريلا من العندليب:

أسرار وحكايات وألغاز!

لم يكن غريبًا أن تتناول الإشاعات والحقائق فى آن واحد حكاية زواج حليم بسعاد حسني. فما بين مؤيد ومعارض كثرت الأقاويل وتاهت الحقيقة التي أضنانا البحث فى الوصول إليها أو الاقتراب منها.

فعندما نتحدث عن سعاد حسني وماذا تمثل فى حياة حليم، لا بد أن نذكر الكثير والكثير نظرًا إلى التقارب الكبير بينهما على مستوى الصداقة والحب لنجمين كبيرين فى الفن المصري، ونظرًا إلى الحب الجماهيري الكبير الذي تمتعا به، ولم يصل إليه أي فنان آخر من قبل إلا أم كلثوم.

فيلم البنات والصيف

عندما رُشِّحت سعاد حسني لدور البطولة أمام عبد الحليم حافظ فى فيلم (البنات والصيف) المأخوذ عن قصة الأديب إحسان عبد القدوس، كانت على موعد مع السعادة، ومع لقاء السحاب الذي جمعها فنيًّا بالنجم الساطع فى ذلك الوقت عبد الحليم حافظ.

فُوجِئت سعاد حسني يومًا بالمخرج الكبير صلاح أبو سيف يتصل بها ليخبرها أنه اختارها لتلعب دور حبيبة عبد الحليم حافظ فى فيلم (البنات والصيف)، وأكد لها أن نسخة السيناريو فى الطريق إليها لتقرأها.

وشعرت سعاد بفرحة غامرة، فحليم كان بدأ يفرض حضوره الفني وصار العمل معه حلم كل بطلات السينما المصرية، فأفلامه تحقق النجاح والشهرة، وفيلم واحد لأي بطلة أمامه كان كفيلًا باختصار طريق الشهرة لتصبح نجمةً فى اليوم التالي لعرض هذا الفيلم أو ذاك.

ولكن سرعان ما أدركت سعاد لحظة قراءتها للسيناريو بأن دور حبيبة حليم الذي كانت تحلم به هو دور بغيض، وقد تنتج عنه كراهية المشاهد لها، فهي فى الفيلم تغدر به وتبيعه وتهجره على رغم ذوبانه فى حبها، فى حين أن دور أخته فى الفيلم كان مثاليًّا، وكانت تتفانى لإسعاده.

وتمنت سعاد فى قرارة نفسها أن تلعب دور شقيقته بدلًا من حبيبته، ولكنها لم تجرؤ على البوح برغبتها تلك خوفًا من سحب السيناريو منها، لأنها كانت فى بداية الطريق وليس من حقها أن تفرض الشخصية التي تهواها على المخرج، خاصةً إذا ما كان مخرجًا كبيرًا فى حجم صلاح أبو سيف.

ويا للقدر! فبينما هي فى طريقها إلى الأستوديو للتصوير اكتشفت أن دور الأخت رُشِّحت

له زيزي البدراوي، الفنانة الأكثر منها شهرةً فى ذلك الوقت. أحست سعاد بالغيرة منها، لكنها كتمت مشاعرها وصورت مشهدين مع عبد الحليم حافظ.

ثم ساد سكون عميق فى البلاتوه، وتوقفت الحياة تمامًا. ولاحظت سعاد أن زيزي البدراوي وصلاح أبو سيف وعبد الحليم حافظ يتهامسون فى أحد أركان البلاتوه وينظرون إليها من بعيد، فظنت أنها قد أخطأت، وأنهم يفكرون فى استبعادها بعد هذا الاجتماع المصغر الذي يتباحثون فيه فى كيفية نقل الخبر إليها.

ولخوفها من ضياع هذه الفرصة من يديها استوقفت مساعد المخرج لتسأله عن ذلك الصمت المفاجئ وتوقف الكاميرا عن الدوران، فقال لها: أحد أولاد الحلال قال لزيزي البدراوي أن دور سعاد حسني سيشد الجمهور إليها، فهي بحكم أنها حبيبته ستكون مشاهدها أطول وتأثيرها فى الأحداث أعمق، وأن زيزي تطلب الآن من صلاح أبو سيف تغيير دورها لتلعب هي دور الحبيبة وتلعبي أنت دور الشقيقة.

تبادل أدوار

وأحست سعاد بالسعادة تغمرها، فقد كانت تلك أمنيتها. وكادت تطير من الفرحة، لكنها كبتت هذه المشاعر الفياضة بداخلها، وجلست فى ترقب وتحفز انتظارًا لما سيحدث.

وبعد دقائق شاهدت صلاح أبو سيف وعبد الحليم حافظ يأتيان إليها بخطى متوجسة، وفاتحها عبد الحليم حافظ قائلًا: «لقد أثبت أنك فنانة واعية وذكية يا سعاد».

والتقط صلاح أبو سيف الحوار ليكمل: «لقد فهمت أبعاد الشخصية جيدًا. لكن..»

ونظر صلاح أبو سيف إلى حليم ليشجعه على تكملة الحوار فقال حليم: «بصراحة من غير لف أو دوران أنا والأستاذ صلاح رشحناك لدور الشقيقة بدلًا من زيزي».

وفى براءة تساءلت سعاد: «اللّه! طب وزيزي حتعمل ايه؟»

وسارع صلاح أبو سيف بالرد: «هتلعب دور الحبيبة بدلًا منك».

وأعادت سعاد السؤال وكأنها تجهل الحقيقة: «ليه؟ هو أنا ما قدمتش دور الحبيبة بشكل جيد ولا ايه؟»

فانفجر عبد الحليم ضاحكًا وهو ينظر إلى صلاح أبو سيف قائلًا: «قوللها الحقيقة وخلصنا».

وفى منتهى الجدية شرح أبو سيف لسعاد أن زيزي طلبت تغيير الأدوار لأنها أحست بأن دور الحبيبة يلائمها أكثر من دور الشقيقة.

وهكذا وصل إليها الدور الذي تمنته، ونجحت سعاد فى دور الأخت نجاحًا لفت إليها الأنظار، وصارت بعده وبسببه من نجمات السينما المصرية. فقد تعاطف معها الجمهور وهو يراها تتفانى فى إسعاد شقيقها الحبيب المظلوم الذي غدرت به امرأة ظالمة.

وهذا الدور كان أيضًا سببًا فى تراجع مكانة زيزي البدراوي سينمائيًّا، بل كان نقمةً عليها، وكانت أضراره أكثر من نفعه.

حكايات كثيرة عن زواجهما! لكن هل تزوجت سعاد حسني من حليم؟

هذا السؤال الذي يطرح نفسه؛ كيف نقترب منه؟ وكيف نصل إلى إجابته؟ وكي نحددها بدقة؛ كان لا بد من استقصاء أكثر من رأي حول هذا الموضوع الذي ما زال يمثل لغزًا حقيقيًّا فى حياة حليم وسعاد.

بداية؛ يقول أحمد عثمان: «ربطتني بسعاد علاقة حب قوية، وذات يوم طلبت منها الزواج وعشنا معًا فترة خطوبة، وكانت تقدمني للمجتمع على هذا الأساس، كان ذلك فى عام ١٩٦٢، وذات مرة دعتني إلى لقائها بفندق النيل هيلتون عصرًا، ولم تذكر السبب».

«وعندما التقينا فى اللوبي طلبت مني الانتظار من دون أن تخبرني بالمفاجأة التي كانت تعدها لي. وبعد بضع دقائق رأيت عبد الحليم حافظ يأتي إلينا وعلى وجهه علامات المفاجأة لوجودي مع سعاد، وتبين أنها كانت طلبت منه الحضور أيضًا فى الموعد نفسه. وصعدنا بناءً على رغبتها إلى الروف، وجلست هي بيننا».

«وأذكر أنني فى إحدى الدعوات – فى عيد ميلادها – صحبتها ورقصت معها فى حضور عبد الحليم الذي لم يتمكن من إخفاء غيرته. وعندما طلبت منها تحديد موعد الزواج صارحتني بحبها لعبد الحليم حافظ، وقالت أن عليها أن تختار بيني وبينه، وهي فى حيرة من أمرها وتحتاج إلى وقت كاف للتفكير فى هذا الأمر، وطلبت مني أسبوعًا لتحسم أمرها».

«وفى هذا الأسبوع طلبت مني ألا أتصل بها حتى تأخذ قرارها النهائي على راحتها. ومر الأسبوع ولم تتصل وأيقنت وقتها أنها قررت اختيار حليم».

مفيد فوزي يعلن السر

«ومنذ ذلك اليوم ابتعدت عن طريق سعاد. وأثناء أحد لقاءاتي مع الكاتب الصحفى مفيد

فوزي سألته إن كانت سعاد هي التي أخبرته بزواجها من حليم فهي صادقة. إنني أعرفها جيدًا، فهي لا تكذب وهي ليست فى حاجة إلى ادعاء هذا الزواج».

«وعندما سألت سعاد نفسها قالت إنها أخبرت مفيد القصة كاملةً فى وقت كانت فيه مرهقةً نفسيًّا، وطلبت منه ألا ينشر حكاية زواجها العرفى من عبد الحليم».

كانت هناك أسباب كثيرة تعوق نشر خبر هذا الزواج – منها كما نقل مفيد فوزي لاحقًا عن سعاد حسني – أنها كانت تطلب من حليم أن يعلن زواجهما، إلا أنه كان يرجئ هذا الإعلان اعتقادًا منه أنه ملك عشاقه وجماهيره والفتيات اللاتي يعشقن فنه، وأن إعلان هذا الزواج سيكون له تأثير سلبي فى حياته وتاريخه الفني.

حبيب مخدوع

أما إصرار سعاد على إعلان زواجها من حليم فكان يرجع إلى تركيبتها النفسية، وحاجتها إلى الاستقرار وتكوين أسرة صغيرة؛ كحلم أي فتاة فى عمرها فى أن تقترن بمن تحب، وتكون معه أسرةً صغيرةً. وقد تصور الحبيب المخدوع وقتها – أحمد عثمان – أن سعاد استغلت حبه حتى يغار عليها حليم، وتجبره على إعلان زواجهما العرفي.

الحكيم يؤكد

الإعلامي الكبير وجدي الحكيم – الذي كان قريبًا من الطرفين – يؤكد أن حليم وسعاد تزوجا عرفيًّا، لكنه لم يشهد إجراءات هذا الزواج، وإن كان قد شاهد واقعةً أخرى لتحويل هذا الزواج إلى زواج شرعي عندما كانوا معًا فى المغرب عام ١٩٦٢ مع مجموعة كبيرة من الفنانين لإقامة عدة حفلات لمصلحة فلسطين، وكان من بين هؤلاء الفنانين حليم وسعاد.

كان حليم يريد شراء أثاث منزله من المغرب على أن يتم شحنه إلى مصر لتأثيث عش الزوجية، لكنه صرف النظر عن هذا الموضوع. وعندما سأله الحكيم عن السبب رفض الإجابة، وقال له: «اسأل سعاد». وبدورها قالت سعاد لوجدي الحكيم: «أنا لست مستعدةً لأن أتحول إلى (بهانة)».

وعلم وجدي الحكيم أن حليم كان تقدميًّا جدًّا فى أفكاره وأغانيه وأفلامه، أما فى حياته الخاصة فكان شديد الرجعية. فقد شعرت سعاد أنها ستنضم إلى حرملك الحريم فى شقة الزقازيق، وهو اللقب الذي كان يُطْلَق على شقة أسرة حليم.

وقالت سعاد فى ذلك الوقت: «لن يكون هذا هو الزواج الذي كنت أتمناه، لأنني أرفض أن أتحول إلى مجرد زوجة تدور فى فلك عبد الحليم».

وهربت سعاد حسني من الموقف كله، بل يُقَال أنها تزوجت فى اليوم نفسه الذي تركت فيه عبد الحليم.

تأكيد سعاد

ولكن فى الحقيقة أن سعاد أحبت حليم بالفعل، وحتى آخر يوم فى عمرها، والذي يواكب يوم عيد ميلاد حليم (٢١ يونيو)، وهو أيضًا أحبها حتى آخر لحظة فى حياته. وكانت هناك محاولات للزيارة والتقارب بينهما، ومن ضمنها أنها كانت تزوره بصحبة عدد من نجوم الفن فى فيلته الشهيرة بالعجمي فى الإسكندرية.

ولم تنكر سعاد أنها تزوجت حليم فى أكثر من تصريح شخصي لها، وكانت تقول أن لديها ما يثبت هذا الزواج من أوراق ومستندات.

وعندما أنكر مجدي العمروسي – الشريك الشخصي لعبد الحليم حافظ – هذا الزواج قالت وقتها: «لعله يعتقد أنني بإذاعة هذا الخبر أو الإعلان عن هذا الزواج يمكن أن أطالب بميراث فى نصيب حليم فى صوت الفن».

ورغم كل هذا الحب الذي جمع بينهما لم تكن سعاد إلا بطلةً لفيلم واحد من بين ١٦ فيلمًا لعب بطولتها حليم وهو فيلم (البنات والصيف)؛ الذي روينا قصته آنفًا. وهذا الفيلم هو الوحيد الذي كان يؤلم سعاد جدًّا، وقالت مرةً: «إذا لم يعترف حليم بوجودي كفنانة الآن، فما بالك إذا تزوجته؟» وهذا ما يفسر عدم اختيار حليم لسعاد فى بطولات أفلامه التالية.

فرقت بينهما الحياة، وجمعهما الموت

وما بين مؤكد للزواج وناف له كانت السيدة جيهان شقيقة الراحلة سعاد حسني من ناحية الأم تؤكد أن لديها ٢٠ رسالةً عاطفيةً متبادلةً بين عبد الحليم حافظ وسعاد حسني، وأيضًا بعض الخواطر التي كتبتها سعاد عن علاقتها بعبد الحليم، ولماذا كان حليم يفضل عدم الإعلان عن زواجهما؟

والمعروف أن زواج حليم بسعاد حسني ظل مجرد إشاعة ترددت فى منتصف الستينات. يبدو أن الاثنين كانا فى حاجة إليها، لكن كشفته سعاد قبل وفاتها بعشر سنوات تقريبًا، بينما نفاه كل من ورثة عبد الحليم حافظ وصديق حليم الراحل مجدي العمروسي، لكن

أكده الموسيقار الراحل كمال الطويل أيضًا؛ لينضم إلى قائمة مفيد فوزي ووجدي الحكيم وشقيقتيها نجاة وجيهان.

لكن شقيقها عز الدين حسني كان يرى أن ذلك يعني المتاجرة بقصة حياة شقيقته الراحلة التي ظلمها القدر حيةً وميتةً، وأنه يرفض الحديث عن شقيقته سواء أكانت تزوجت أم لم تتزوج من حليم. ولكن يعود ليؤكد أنها تزوجته بالفعل، وأن كل أفراد الأسرة كانوا يعرفون هذا، ولكن عدم الإعلان عن الزواج كان بسبب رغبة حليم نفسه لكونه كان يعتقد أن هذا يؤثر فى فنه وجمهوره من النساء.

إلا أن سعاد كانت لا تنكر قربها من حليم أيضًا إلى درجة أنها قالت أنها كانت تشهد ولادة بعض أغانيه لحظةً بلحظة مثل أغنية (صورة.. صورة) التي كتبها صلاح جاهين ولحنها كمال الطويل.

حيرة الشك والنفي

ونحن ما زلنا حائرين من شط إلى آخر ومن مرسى إلى آخر؛ عسى أن نجد الحقيقة التي تؤكد ظنون وشكوك هذه الزيجة الغريبة، فبالنسبة إلى الزيجة ذاتها هناك من يقول أنها استمرت ثلاثة أشهر، ومن يقول ٦ سنوات، وأن حليم كان يتردد على شقة سعاد فى الزمالك، وأن حليم هو الذي كان يريد أن يصبح الزواج معلنًا لكن سعاد رفضت بسبب ظروفه الصحية.

وقد قِيل الكثير والكثير، ولكن الاحتمال الأقرب للصواب أنهما تزوجا بالفعل لسنوات، وأن سعاد كانت تملك وثائق وأوراق هذا الزواج، وربما امتنعت عن إظهارها لأنها كانت عزيزة النفس وتخشى من أن يربط أحد بين إعلانها مثل هذه الأوراق ورغبتها فى اقتسام ثروة عبد الحليم، خاصةً أن مجدي العمروسي رفض الاعتراف نهائيًّا بهذا الزواج، وأصر على أن حليم وسعاد لم يتزوجا.

وقد يكون امتناعها عن إعلان هذا الزواج لسبب آخر هو أن حليم ربما يكون قد جرح مشاعرها وسبب لها ألمًا نفسيًّا بعدم إعلانه للزواج ومن هنا لم ترد هي أن تعلن أيضًا.

محمد شبانة ينفي

وعندما سألت المطرب محمد شبانة – ابن شقيق حليم – فى حوار خاص

حول هذا الموضوع أكد لي أن سعاد حسني لم تتزوج من حليم، ودلل على صدق كلامه بقوله:

– عندما كان حليم يخرج من بيته كان يخرج معه أكثر من ٥ أو ٦ أفراد، فكيف يمكن أن يتزوج سعاد حسني فى السر لمدة ٦ سنوات؟ هذا ليس صحيحًا، وأنا أختلف مع كل الآراء التي كانت تريد تأكيد ذلك لأن حليم لو كان (عطس) لعرفت الجماهير كل شيء.

قد تكون الحقيقة أن أضواء الشهرة خفتت عن سعاد فى وقت من الأوقات، فساعدها بعض الأشخاص لترويج مثل هذه الشائعة فى السنوات الأخيرة. فماذا يعيب عبد الحليم إذا تزوج سعاد حسني أو غيرها علنًا؟ ولو حدث ذلك لكان أعلن خبر زواجه على الملأ.

– قد يُقَال أنهما أخفيا الزواج حتى لا يهرب المعجبون والمعجبات من حولهما؟

– أنا أختلف معك، وهذه حجة الناس الذين روجوا للإشاعة؛ فلو كان عبد الحليم متزوجًا من ٢٠ فتاة لظل معجبوه ومعجباته كما هم.

– ما دليلك على صدق كلامك بعدم زواج حليم من سعاد حسني؟

– والدي ووالدتي وعمتي، وكلامه وتعبه ومرضه، وأشياء كثيرة تؤكد ذلك. كما كان ممنوعًا على حليم أن يتزوج فى السنوات التي هاجمه فيها النزيف الحاد. ولدي شريط بصوت عمي يؤكد فيه أنه (أوصل سعاد لبر الأمان).

وفى رأي ابنة عمتي لو كانت سعاد حسني قد تزوجت حليم لكانت طالبت بنصيبها من الميراث بعد وفاته. والذي يتحدث عن زواج حليم بسعاد فليظهر ورقة الزواج حتى لو كان عرفيًّا حتى نصدقه. فعند ظهور مثل هذه الورقة ستتغير الأمور طبعًا، ولكن طالما أنها لم تظهر حتى اليوم فإن كل ما يدور حول ذلك الموضوع بعيد تمامًا عن الحقيقة.

عبد الحليم حافظ بكل أخلاقياته لا يمكن أن يفعل ذلك، وكان قريبًا جدًّا من الله، ومن المستحيل أن يتزوج بهذه الطريقة. فعلى قدر ما كان فنانًا كبيرًا كان إنسانًا شرقيًّا إلى درجة كبيرة.

– وهل أحب حليم سعاد حسني كتضميد لجراحه من حب انتهى برحيل السيدة (ديدي) – حبيبته المجهولة – وهل هناك دليل على هذا الحب؟

– بالفعل جمع الحب بينه وبين سعاد حسني، وكانت تقول له: إنت بتحبني حتى تنسى ديدي من خلال حبي. فيجيبها: أنا أريد أن أحافظ عليك، ولا أريد لك البهدلة، وأريد أن أصل بك إلى بر الأمان.

وهذا الكلام موجود فى شريط مسجل بصوت حليم، وأنا أحتفظ به فى بيتي. كانت (ديدي) الحب الوحيد فى حياة حليم، وقال لها: لن أتزوج قبلك ولا بعدك.

وهذا ما يؤكد عدم زواجه من السندريلا سعاد حسني التي نكن لها كل حب واحترام وتقدير.

سعاد تعترف

نفى من كانوا قريبين من حليم لهذا الزواج – باستثناء الطويل الذي أكد ذلك – جعل من الضروري أن تؤكد سعاد تلك الزيجة وأن ترد على الذين شككوا فى كلامها، إلا أن سعاد كانت ترى فى الحديث عن حليم نوعًا من نبش الجراح أو مغامرةً بالإقدام على مسك سلك كهربائي عار، وتقليبًا للمواجع أيضًا، أو ربما يكون على سبيل خدش كبرياء وهي لا تريد ذلك.

ولكنها ظلت تؤكد دومًا قبل رحيلها أنها أحبت العندليب وأنه أحبها أيضًا بقوة. وكانت تقول: «كان فى البداية أكثر مني شهرةً، وأنا كنت أتحسس طريقي فى المجال الفني، فأخذ بيدي نحو الشهرة. ولأننا كنا يتيمين وعشنا الحرمان العاطفى كان إحساسه بي قويًّا. ولا أنكر أفضاله علي خصوصًا فى خطواتي الأولى المرتبكة. كان يوجه لي نصائح كثيرةً، وكانت عواطفه ومشاعره خالصةً ومخلصةً، ويحب بجد لأنه كان محرومًا من الحب والحنان، وهذا سبب مصداقية أغانيه».

معًا ليل نهار

وعلى مسؤولية الكاتب منير مطاوع، قال : إن سعاد حسني قالت:

«كنت أراجع حليم فى تصرفاته ومواقفه، وأحيانًا كان يعترف أنني على حق. وعندما وصل بنا الحال إلى أننا أصبحنا معًا طوال النهار والليل، كنت دائمًا معه فى بيته فى السرير، لأنه كان يعيش يومه فى السرير؛ يفكر ويقرأ ويدندن، ويخطط لمشاريعه الفنية، ويلتقي بأعز أصحابه أيضًا من أجل أن يكون على راحته أثناء تناول العلاج».

«وعندما طلبت الزواج كنت أريد أن أستقر ويكون لي بيت وأسرة وزوج يسعدني

وأسعده، لكن حليم كان معبود النساء. ومع أنه كان يحبني جدًّا خاف من الزواج. خاف من أن حب إنسانة واحدة قد يخسره حب كل البنات. خاف مني على عبد الحليم حافظ الفنان. ولأنني كنت أحبه فعلًا وافقت على رغبته بأن نتزوج سرًّا حتى يستطيع أن يرتب نفسه، ويعلن هذا الزواج العرفى ويهيئ روحه لفكرة إعلام جمهوره بأنه تزوج».

«لم أكن أريد أن أخسره بسبب حبي له، وأقنعت نفسي بأني أيضًا لا أريد أن يخسرني جمهوري من الشباب إذا علموا بزواجي. كنت أريد أن يراني هذا الجمهور دومًا فى صورة (فتاة أحلامه). واتفقنا أن نعلن زواجنا بعد ٥ سنوات، وعشنا فى السر لا أحد يعرف شيئًا عن تلك الزيجة. وكان هو يتسلل من بيته فى شارع حسن صبري، ويعيش معي فى شقتي فى شارع يحيى إبراهيم».

«وبعد فترة بدأت أحس بالضيق، وأن ما نفعله لعب عيال وكلام مراهقين، وسألت نفسي: لماذا تورطنا فى فكرة تجارية مزيفة بأنه فتى أحلام البنات وممنوع عليه الزواج، وأني فتاة أحلام الشبان وممنوع أن أتزوج ويكون لي بيت وزوج وأسرة؟»

«مللت وزهقت وطالبته بأن نعيش مثل كل الأزواج أمام كل الناس وبصراحة ووضوح. وحاولت إقناعه بأن زواجنا لن يؤثر على نجوميتنا وحب الناس لنا، لكن من دون فائدة. قال لي: أنت عنيدة تلقائية أكثر من اللازم. الحياة تحتاج إلى حسابات وتفكير وتدبير وأنا لا أستطيع أن أضحي بنفسي».

«وكان علي أن أضحي أنا، فضحيت بحبي له وسعادتي معه، وانتهت القصة، ووجدت نفسي أهرب من أي مكان يكون موجودًا فيه، وأهرب من كل شيء يخصه. وكان هذا عذابًا ما بعده عذاب فى حياتي».

سعاد صادقة

بعد هذا الكلام الذي ورد على لسان صاحبة القصة لا بد أن نصدق أن ثمة زواج حدث بينهما بالفعل طالما اعترف به أحد الأطراف، وقذف به فى دائرة الضوء.

ولكن سرعان ما نشعر بالحيرة عندما نعلم أن الطرف الآخر أنكر ذلك فى أحد تصريحاته؛ إذ قال حليم فى هذا السياق:

«إن سعاد من النوع الذي يجذب بمجرد ظهوره، وأنه عندما عرفها كانت حالته النفسية سيئةً للغاية، فلم يكن يشعر بأن أحدًا يقف بجانبه ويشجعه بإخلاص باستثناء سعاد حسني، وهذا ما جعله لا يستطيع أن يتخلى عنها».

وقال حليم فى اعترافاته:

«لا أنكر أنني أحببت سعاد حسني، وكان من الممكن أن أتزوجها، لكن سعاد أحبت فنها أكثر من أي شيء آخر».

واعتبر البعض أن هذه الاعترافات الخطيرة مستند على أن حليم عرض الزواج على سعاد، ولكن لم تؤكد المصادر إن كانت سعاد رفضت عرضه.

ومما يؤكد رواية سعاد عن حليم أن حليم ذاته اعترف قبل رحيله بحبه للسندريللا. كما أن تصريحات سعاد جاءت فى وقت كانت فيه فى دائرة الضوء والنجومية، ولم تكن بحاجة إلى فرقعة إعلامية على حساب إعلان هذا السر.

ولكن الأسئلة التي تقفز حالًا إلى الذاكرة هي: أين عُقِد هذا الزواج؟ ومن هم شهوده؟ أليس هناك شاهدان على أي عقد زواج؟ وهل هذان الشاهدان رحلا عن عالمنا لأننا لم نسمع لهما صوتًا عند إعلان هذا السر؟ أم أن الزواج تم بالوهبة كما يُقَال (وهبتك نفسي)، فلم يكن عليه شهود؟

رحلت يوم ميلاده

ولكن إذا أردنا أن نؤكد شيئًا ما على تلك العلاقة التي جمعت بين سعاد وحليم وعلى الحب الحقيقي الذي كان بينهما؛ فإننا نستذكر يوم سقوطها من شرفة البناية اللندنية فى يوم ٢١ يونيو وهو اليوم نفسه الذي فارقت فيه سعاد حسني الحياة، – سواء (صح أم لا أنها) ماتت منتحرةً كما أرجع ذلك تحقيق بوليس (اسكتلاند يارد) فى عاصمة الضباب لندن، وهو اليوم نفسه الذي اختارته للانتحار ليكون هو يوم عيد ميلاد العندليب نفسه الذي كان قد يحمل لها ذكريات حقيقية فى حياتها – فإن اختيار سعاد للمدينة التي مات فيها حليم ولليوم الذي وُلِد فيه لتعلن الرحيل؛ يؤكد أن شيئًا ما كبيرًا جمع بينهما، قد يكون الزواج نفسه أقل شيء فيه، وليس السر الأكبر فى حياتهما كما نعتقد.

الباب الثانى:
أم كلثوم

الأسباب الحقيقية وراء الصراع

بين كوكب الشرق وحليم

قد لا يتخيل البعض الآن أن عبد الحليم حافظ كان لا يسمع أغنيات أم كلثوم على مدى ١٥ عامًا بسبب الخلافات التي كانت بينهما والغيرة الفنية أيضًا، ولم يعاود الاستماع إليها إلا عندما بدأ موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب يلحن لها. لا لكي يسمع صوتها ولكن لكي يسمع ألحان عبد الوهاب.

وفى الوقت الذي كان فيه حليم لا يسمع لأم كلثوم كان يسمع لكل مطربي تلك الفترة، مثل شادية وفايزة أحمد وفريد الأطرش وعبد المطلب والعزبي وعبد الغني السيد.

وما يؤكد هذا الكلام أنه عندما سُئِل حليم عن أحب المطربين إليه والأغاني التي يفضلها لهم قال: أحب الاستماع إلى عبد الوهاب، وخاصةً فى أغنية (النهر الخالد).

وعندما تحدث عن المطربات قال: أحب أن أسمع فايزة أحمد فى أغنية (ياما قلبي قالي لا)، ونجاة الصغيرة فى (لا تكذبي)، وصباح فى أي موال، وأسمع فيروز فى (زوروني كل سنة مرة)، ووردة فى (كلنا جميلة). ولم يذكر أم كلثوم أو أي أغنية لها، وهذا يدل على الغيرة والخصام اللذين كانا بينهما لفترة طويلة.

لماذا غنى لأم كلثوم؟

رغم أن الحالة التي كانت تجمع بين حليم وأم كلثوم هي حالة صراع فني بين أكبر قطبين للغناء الشرقي الأصيل فى عصرهما، إلا أن عبد الحليم غنى بصوته أغنيةً لكوكب الشرق.

والقصة أنه ذهب مرةً مع محمد عبد الوهاب ووفد فني مصري إلى المغرب للغناء فى عيد جلوس الملك الحسن الثاني، فطلب الملك من عبد الوهاب أن يغني بصوته أغنية (ودارت الأيام). فكان رد عبد الوهاب بدبلوماسيته الشديدة أن هذا الطلب ليس رغبةً فحسب بل هو أمر ملكي.

وعاد عبد الوهاب إلى غرفته بالفندق، وأمسك بعوده وأخذ يغني أغنية (ودارت الأيام) عدة مرات للتدريب عليها قبل غنائها فى الحفل الذي كان مقررًا أن يعود فيه إلى الغناء بعد غياب سنوات طويلة عن الغناء فى الحفلات.

وجلس إلى جواره عبد الحليم يستمع إليه. وتلعثم عبد الوهاب أكثر من مرة فى مقطع (أهرب من قلبي أروح على فين. ليالينا الحلوة فى كل مكان) وظل يغنيها (احنا ليالينا فى كل مكان).

وعندما فطن حليم إلى ذلك استأذن وعاد إلى غرفته كي يتذكر كلمات الأغنية ويعطيها إلى عبد الوهاب فى اليوم التالي. إلا أن عبد الوهاب فُوجِئ بأن حليم قدم له شريطًا مسجلًا عليه الأغنية كاملةً وبصوته غناءً وليس كلامًا. وبعد أن استمع عبد الوهاب إلى الشريط تذكر الكلمات وحدد موعد البروفة، وبعد ثلاثة أيام غنى الأغنية فى الحفل الذي أُقِيم فى قصر الصخيرات.

وبالطبع سُجِّل الحفل الذي غنى فيه عبد الوهاب الأغنية، ولم يخرج هذا التسجيل من القصر. أما بالنسبة للشريط الذي سجله حليم بصوته فجرى تسريبه عن طريق بعض أفراد الفرقة الماسية، ومن هنا تسلل الشريط إلى العديد من الإذاعات المختلفة. وبالطبع استمعت إليه أم كلثوم بعدما نُقِل إليها الخبر على رغم الخلاف الذي كان بينهما فى ذلك الوقت.

الغيرة من أم كلثوم

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بعد هذا التمهيد القصير: هل كان عبد الحليم يغار من أم كلثوم؟ وهل كان يريد اقتسام كعكة السلطة معها أيام عبد الناصر تحديدًا؟

روى مصطفى أمين مرةً أن عبد الحليم حاول فى وقت من الأوقات أن يساوي رأسه برأس أم كلثوم، لكن مصطفى أمين أعاده إلى الصواب وقال له يومها: «أم كلثوم هرم شامخ، وأنت فنان عظيم، ولكن هذا لا يسمح لك أن تطاولها القامة».

ويومها انخرط عبد الحليم فى البكاء واعتذر عن لهجته الساخنة لمصطفى أمين الذي كان فى ذلك الوقت قريبًا جدًّا من أم كلثوم، ويكاد يكون الوحيد الذي يملك كل الانفرادات الصحفية عنها آنذاك. ومع ذلك كان حليم يتتبع أي لحن جديد تستعد له أم كلثوم، ويسعى بذكاء إلى معرفة من هو الملحن، وما هو الخط العريض للحن، وما هي مقاماته.

لكن غيرة حليم اشتدت إلى أقصى درجة عندما خطفت منه أم كلثوم ملحنه الخاص فى تلك الفترة وهو الموسيقار بليغ حمدي.

وعندما لحن لها عبد الوهاب أغنيتها الشهيرة (أنت عمري) قال حليم مقولته الشهيرة: «لو أن عبد الوهاب تزوج أم كلثوم ما كانا خلفا ولدًا أو بنتًا أحلى وأجمل من (أنت عمري)». وكانت تصريحات حليم تلك لنفر قليل من أصدقائه وخشي أن يتسرب ذلك إلى الرأي العام لأن أم كلثوم قد لا تقدر (القفشة) أو

(الإفيه) الذي أطلقه، وتعتبر ذلك على سبيل الاستخفاف.

وما يؤكد اهتمام حليم بما تغنيه أم كلثوم إلى أقصى درجة هو أنه عندما سمع من المقربين منه أن أغنية أم كلثوم الجديدة ستكون من قصيدة للشاعر التونسي الكبير أبو القاسم الشابي نزل بنفسه ومعه آخرون لجمع كل دواوين أبو القاسم الشابي المنتشرة فى المكتبات المصرية. لا لكي يمنع وصولها إلى أم كلثوم، لكن لكي يعرف ماذا تريد أن تغني. ولأنه كان يقلق جدًّا إذا سبقه أحد فى غناء أي جديد، ولذلك كان بمثابة المرصد للحركة الفنية المصرية والعربية.

بداية الغضب

لكن كيف بدأت المواجهة الحقيقية بين حليم وأم كلثوم؟

بدأت عندما تجرأ عبد الحليم وقال رأيه فى إحدى أغنيات كوكب الشرق، وقال تحديدًا إن هذه الأغنية ليست من مستواها. وغضبت أم كلثوم واتصلت وهي ثائرة بعبد الوهاب وقالت له: «اسمع يا محمد هو تلميذك اللي اسمه عبد الحليم فاكر نفسه ايه؟ بقى أستاذ ولا ايه؟ طب حيعمل أستاذ علينا إحنا كمان؟ أنا زعلانة جدًّا وأعرف كيف أعلمه الأدب والتربية؛ لأنه يبدو أنه يجب أن يفيق من غيبوبته وغروره، ولا بد أن يعرف مكانته أين هي بالضبط وقبل ما يتعدى حدوده».

واستوقفها عبد الوهاب قائلًا: «هل يمكن أن أعرف ماذا فعل بالضبط؟ وما السبب الذي يثير غضبك وثورتك إلى هذه الدرجة؟»

وردت أم كلثوم: «أنا لن أقول لك شيئًا. لكن تستطيع أن تتحدث معه وتسمع منه ماذا قال عني بالضبط. ولكني لا أريدك أن تغضب مني إذا أوقفته عند حده، وقرصت عليه بعض الشيء حتى يفيق».

ورد عبد الوهاب: «إذا كانت الحكاية هكذا يبقى اقرصي على قد ما تقدري، ما عاش اللي يقول عنك كلام يا ست الكل».

واتصل عبد الوهاب بعبد الحليم على الفور وطلب منه أن يأتيه على وجه السرعة إلى المكتب. وأتى حليم وسأله عبد الوهاب: «ماذا قلت عن أم كلثوم؟ لقد حدثتني وهي غاضبة وثائرة منك جدًّا؟»

فرد حليم بخبث: «هو أنا أقدر أقول أي كلام عن أم كلثوم؟ هو هذا معقول؟»

وبذكاء عبد الوهاب ودبلوماسيته سأل حليم مرةً أخرى: «يمكن تكون قلت حاجة كده ولا

كده من دون قصد، مما أغضبها منك إلى هذه الدرجة».

واعترف عبد الحليم قائلًا: «أنا لم أقل أي شيء عن أم كلثوم شخصيًّا. إنما قلت رأيي فى أغنيتها الجديدة».

فزع عبد الوهاب وثار فى وجه حليم: «رأيك؟ وماذا قلت يا شاطر فى رأيك؟»

رد حليم: «سألني أحد الصحافيين عن رأيي فى أغنيتها الجديدة، وقلت له إنها ليست على مستوى أغنيات أم كلثوم السابقة».

وكأنه سقط فى يد عبد الوهاب: «يا نهار أسود! أنت اتجننت يا حليم؟!»

وأردف حليم: «طب وايه يعني يا أستاذ عبد الوهاب؟ ماهي دي الحقيقة، وليس هذا هو رأيي أنا بمفردي والناس كلهم أحسوا أن أم كلثوم تسرعت فى هذا اللحن، وأنه كان لا بد من التغيير والتجديد لتقدم شيئًا جديدًا».

رد عبد الوهاب: «قلت كل ده ومش عايزها تزعل؟»

عبد الحليم : «تزعل ليه بس؟ وهي إنسانة على القمة، وكلمتي دي أو كلمة غيري لن تؤثر عليها».

عبد الوهاب : «يبدو أنك لا تعرف أم كلثوم جيدًا. إنها تغضب من أي نقد. اسمع يا حليم. اتصل بها فورًا واعتذر لها عما بدر منك، وبعد ذلك افعل أي شيء تصلح به ما أفسدته».

وأجاب حليم: «ماذا أفعل يعني؟»

عبد الوهاب: «كذب الكلام المنشور، وأرسل خطابًا للجريدة التي نشرت كلامك، وقل لهم إنك لم تقل هذا الكلام».

حليم: «لكن أنا قلته!»

عبد الوهاب: «يعني كنت مضيت عليه؟»

حليم: «لا؛ لم أمض عليه، لكني قلته فعلًا».

عبد الوهاب: «بقولك أم كلثوم غاضبة جدًّا».

حليم: «أيوه؛ لكن أنا لا أستطيع أن أكذب نفسي، وهذا هو رأيي فعلًا وأتحمل مسؤوليته، وإذا أحد سألني مرةً أخرى هذا اليوم سوف أقول الكلام نفسه».

عبد الوهاب: «لكن هذا الموقف سوف يكلفك الكثير يا حليم. أم كلثوم لما تغضب على واحد تقدر تحطمه. وأنت مش قد معركة ضدها».

عبد الحليم: «والله أنا لم أختر أن أكون فى معركة ضدها. لكن إذا هي حبت تعمل معركة ضدي، فهذا ليس ذنبي. أنا لا أستطيع أن أكذب نفسي ولا أقدر أغير رأيي مهما كان الثمن الذي أدفعه، حتى لو كان غضبها مني شخصيًّا».

وانتهت المواجهة بين حليم وعبد الوهاب لتبدأ مواجهة الغضب بين حليم وأم كلثوم.

المواجهة

ومن ضمن المواجهات والحروب التي بدأت تطفو على السطح أثناء تلك القطيعة بينهما أن أم كلثوم طلبت العمل مع فاروق إبراهيم المصور الخاص بعبد الحليم الذي رافقه طوال مشواره الفني والتقط بمفرده ٣٣ ألف صورة للعندليب. ولأنه كان مصورًا فى مؤسسة صحفية وليس مصورًا خاصًّا بحليم، وكان أيضًا المصور الخاص للرئيس أنور السادات، ذهب فاروق إبراهيم للعمل مع أم كلثوم من دون أن يغضب منه حليم.

لكن؛ تُرَى ما هو السبب الحقيقي لانطلاق ثورة الغضب بينهما؟

ما تؤكده الشواهد والدلائل حول هذا الموضوع هو أن أم كلثوم وحليم كانا معًا فى حفلة نادي الضباط بالزمالك. ولما كانت أم كلثوم ستغني أولًا، أرادت أن تلقن عبد الحليم درسًا لأنه كان سيختم الحفل، فغنت وأطالت فى الغناء وتجاوزت وقتها بكثير حتى بات ليس هناك وقت لفقرة حليم.

وبدأ القلق يسيطر عليه، إلا أنه تماسك وصعد على خشبة المسرح، وقدم فقرته ولم يبد أي تذمر أو غضب ظاهر لأنه لم يرد أن تزداد حدة الخلافات بينهما فى هذا المكان ولا فى هذا الزمان. لكنه تقدم بشكواه إلى الرئيس جمال عبد الناصر، وطلب أن يغني منفردًا بعيدًا عنها، فحدد له موعدًا للغناء فى عيد الثورة ولكن فى الإسكندرية.

صراع الأجيال

كان عبد الحليم حافظ الذي بدأ مشواره مع بداية ثورة يوليو عام ١٩٥٢ يدرك تمامًا أنه ابن الثورة وابن الاشتراكية، وأن عليه كي ينتصر أن يكون مجددًا. ولكن الصراع الساخن بينه وأبناء جيله من ناحية وبين أم كلثوم ومن قبلها من ناحية أخرى كان يمثل صراعًا حقيقيًّا وثورةً على التجديد والتطور.

ولما كان الصراع محتدمًا قال حليم:

«إن الصراع بين الأجيال صراع فرضه القدر عليهم، فكل يحاول دائمًا وبكل الطرق المشروعة الدفاع عن نفسه. والذي يحدث فى عالم الفن فى هذا الوقت هو شيء قدري، وإذا لم يأخذ الصراع طابع العلانية فهو بالتأكيد صراع خفى وموجود فى نفوس الجيلين».

«والذي يبدأ الصراع دائمًا هو الجيل القديم لأنه يخاف على ما وصل إليه، ولا يحب لأحد من أبناء الجيل الجديد أن يصل إلى أي مكان مرموق فى الفن أو فى أي مجال آخر، وهذا الصراع يأخذ طابعًا حادًّا اليوم وسوف يزداد حدةً فى القادم من الأيام».

«إن الجيل القديم سوف يدخل المعركة بكل قواه وثقله. وله من النفوذ الفني والأدبي الكثير، مما يجعله يتحكم بعض الشيء فى أمور صغيرة فى مظهرها ولكنها عميقة فى أثرها وخصوصًا فى نفوس الفنانين الشبان، لكني كواحد من الجيل الجديد أقول لأبناء جيلي إن العمل الفني الصادق لا يمكن أن يموت، إنه يعيش والزمن معه لا عليه».

«إننا جميعًا نعمل الآن من أجل فن بلدنا ومن أجل الأجيال القادمة، وقد مررت بأزمات كثيرة فى حياتي وصراعات أكثر، ولو كان إيماني بنفسي تزعزع خلالها لكنت غير موجود على خريطة الغناء المصري أو العربي».

«إن على الفنانين من أبناء الجيل الجديد؛ أبناء جيل الفكر الثوري والعقيدة الخالصة المجردة التي لم يكن لها ماض بعيد. جيل عاش مرحلة الثورة ونضالها ومبادئها وعقيدتها. على هذا الجيل أن يعي أن الدنيا كلها معهم وبلدهم معهم وقيادتها معهم؛ فالثورة وقائدها مؤمن بالشباب ودوره القادم، ونحن يجب علينا أن نثبت للقائد الذي آمن بدورنا أننا عند حسن ظنه، ويجب علينا أن نغني للجماهير وللشعب، ويجب ألا نلتفت إلى صراعات الأجيال».

لكن كيف كان اللقاء الأول بينهما. وكيف كان حليم يعتبر أم كلثوم الهرم الشامخ، وأن مجرد اعترافها بصوته هو وسامًا على صدره؟

كوكب الشرق تعلن الحرب على العندليب

وكان اللقاء الأول بين أم كلثوم وحليم فى فيلَّا د. سيد كريم وهو مهندس مصري كبير كانت فيلَّته مقصدًا لأهل النغم. وفى إحدى الليالي اتصلت أم كلثوم بكريم وقالت له إنها فى زيارة لبعض الأصدقاء بالمعادي وسوف تكون قريبةً منه، وستمر عليه فى الفيلَّا. وتصادف أن كان عبد الحليم فى الفيلَّا فى ذلك الوقت لأنه كان يدرس ابنة كريم العزف على العود.

كان بداخل الفيلَّا العديد من مكبرات الصوت الظاهرة والمختفية، وكان حليم فى انتظار إشارة ضوئية باللون الأحمر فى حال وصول أم كلثوم؛ ليغني لها من دون أن تراه، طبعًا بالاتفاق مع د. سيد كريم. وعندما وصلت أم كلثوم وجلست قليلًا.

بادرها كريم قائلًا: «ما رأيك لو حضرنا روح الولد اللي اسمه حليم؟»

فردت أم كلثوم: «سمعت عن هذا الولد كلامًا جيدًا، ويمكن سمعت صوته لكن من دون تركيز. أنت تعرفه؟»

وقتها أعطى الدكتور الإشارة إلى حليم لكي يبدأ وصلةً غنائيةً، فغنى بعض الآيات القرآنية بصوت هامس، وفجأةً سمعت أم كلثوم المقدمة الموسيقية لأغنيتها (ثورة الشك)، وإذا بعبد الحليم حافظ يغني (أكاد أشك فى نفسي). ويتوقف الغناء قليلًا وأم كلثوم فى حالة ذهول، ليواصل حليم (وحقك أنت المنى). تلفتت أم كلثوم يمينًا ويسارًا ثم صمتت.

فقال د. سيد: «نفسك يا حليم فى ايه؟»

ورد حليم: «نفسي أشوف أم كلثوم!»

وعندما قال له د. سيد: «طلباتك مجابةً وفورًا».

رد حليم غنائيًّا: «أمرك يا سيدي. يا سيدي أمرك».

وفُوجِئت أم كلثوم بعبد الحليم أمامها ممسكًا بالعود ويغني: «أنا جاي. على طول أنا جاي».

وانفجرت أم كلثوم ضاحكةً وقالت: «ده عبد الحليم ولا عفريته؟»

فرد حليم: «يا أفندم أنا عبد الحليم بشحمه ولحمه».

فقالت: «أنا عايزة عبد الحليم بلحمه وما ليش دعوة بشحمه».

وضحك الجميع ... واستأذنت أم كلثوم.

وخرج حليم فى وداعها مؤكدًا عليها بقوله: «كان نفسي تسمعيني؟»

وردت أم كلثوم: «وأنا كمان كان نفسي. بس الجايات أكثر يا واد».

قبلة أم كلثوم على جبين حليم

ومضى الوقت وحليم فى شوق للقاء ثومة. كان ينتظر اللقاء الثاني بلهفة شديدة، ولم يمر كثير من الوقت حتى تم اللقاء فى المكان نفسه، لكن هذه المرة وسط لجنة اختبار عُقِدت

لحليم، وضمت كامل الشناوي وصالح جودت و د. زكي سويدان. ودخل حليم السهرة متجهًا مباشرةً إلى أم كلثوم. وعندما اقترب منها قبل يدها. وطلبت منه أن يجلس بجانبها، فإذا به يفترش الأرض ويظل صامتًا.

وعندما قالت له أم كلثوم: «هات العود يا واد». علت الفرحة وجه حليم، وآه لو نجح وحصل على وسام الاعتراف من أم كلثوم فإن أبواب المجد فى انتظاره.

وأمسك حليم بالعود وقال لأم كلثوم: «ماذا تريدين أن تسمعي من أغنياتك يا ست الكل؟»

فردت أم كلثوم: «يعني أنت حافظ كل أغنياتي».

فأجاب حليم بالإيجاب، فقالت له: «غني يا ظالمني».

وبدأ حليم يغني وأم كلثوم تترقبه عن كثب وتدندن أغنيتها فى سرها مع حليم وهي مشدودة نحو هذا الصوت الموهوب. وعندما انتهى حليم من وصلته الغنائية قامت أم كلثوم وطبعت قبلةً عريضةً على جبين عبد الحليم.

وهنا قال كامل الشناوي: «هذه القبلة يا حليم وسام فى مستوى أوسمة الدولة»، وقال صالح جودت مازحًا: «لقد قُبلت أوراق اعتمادك فى مملكة الغناء».

وأصبح حليم بعدها يداوم على مشاهدة أم كلثوم فى أحد ثلاثة بيوت وهي بيت د. سيد كريم أو بيت د. زكي سويدان أو بيت السيد طه النمر وكيل وزارة التربية والتعليم.

لقاء تحت الحراسة

وعندما وُضع د. سيد كريم تحت الحراسة وامتنع الأصدقاء عن زيارته لأنه كان تحت المراقبة، كان حليم وفيًّا له ويزوره دائمًا. ومرةً التقى أم كلثوم فى إحدى زياراته، فقالت له: «أنت ولد وفي. وهذا شيء أقدره فيك»، فرد حليم: «أنا ما زلت مطربًا صغيرًا. لكن الوفاء الكبير يصدر عن قلب كبير، وإنسان كبير».

وعندما رُفعت الحراسة وعادت السهرات؛ كانت السهرة الأولى التي حضرها كل الأصدقاء إعلانًا للصلح بين أم كلثوم وأنور منسي، وفى تلك الجلسة اتفق حليم وكمال الطويل أن يغني حليم أغنية (حب ايه) للأم كلثوم ويغنيها نشازًا حتى يستفز أم كلثوم.

وبالفعل نجح فى ذلك وإذا بها تفاجئ الحاضرين وينطلق صوتها مخترقًا جدار الفيلَّا إلى خارجها. وتشدو الست: (حب ايه اللي أنت جاي تقول عليه.

أنت عارف معنى الحب ايه). ولفت نظر أم كلثوم أنها عندما انطلقت فى الغناء انطلقت خلفها على الفور كمنجة أنور منسي تعزف منفردةً لمدة ساعة.

وفجأةً التفتت أم كلثوم لأنور منسي وقالت له: «أريد أن أسمعك يا أنور». وفى اللحظة التي بدأ يتكلم فيها أنور منسي بالكمنجة هلل الحضور فرحًا بالصلح، وطلبت أم كلثوم من حليم أن يغني أغنية (يا سيدي أمرك)، وغناها حليم كما لم يغنها من قبل وجعل أم كلثوم تهز رأسها طربًا.

وانتهت السهرة وعاد الجميع إلى بيوتهم واستيقظوا جميعًا على خبر مفزع فى اليوم التالي؛ فقد ذهب أنور منسي إلى منطقة الأهرامات ليركب حصانه الجامح وينطلق به مسرعًا، فسقط فوق حجر جرانيت ومات على الفور. بكت أم كلثوم بشدة وخيم الحزن على الفيلَّا لفترات طويلة؛ لتدخل العلاقة بين حليم وأم كلثوم منعطفًا جديدًا. فالأشياء الجميلة لا تبقى طويلًا على حالها.

وكان اختلاط عبد الحليم بأم كلثوم محدودًا بعد ذلك وربما كان صالون مصطفى أمين يجمعهما أحيانًا بعدما أخذ حليم مساحةً واسعةً من الشهرة والنجومية وذلك بعد حفلات ٢٣ يوليو، وكان لحن يوليو عند حليم هو لحن العام كله، لأنه كان يعتبر نفسه الابن الشرعي للثورة. ولذا فقد حدثت الغيرة الفنية بين أم كلثوم وحليم، وربما أصاب نجاح عبد الحليم الساحق سيدة الغناء ببعض القلق، ولا يمكن بالطبع حرمان الفنان من القلق والغيرة.

حفل نادي الضباط

ونعود إلى ما كنا توقفنا عنده قبل مرحلة (الفلاش باك). عند حفل نادي الضباط بالزمالك، عندما حدث تغيير فى برنامج هذه السنة. فقد كان متبعًا فى هذا الحفل أن يغني حليم لحنه بعد عشاء القيادة فى نادي الضباط على أن تختتم أم كلثوم الحفل.

وعندما سمع حليم أنه سيغني بعدما تنتهي أم كلثوم من الشدو، لم يصدق حليم ما تردد، واتصل بصديقه علي شفيق الذي أكد له أن الست أم كلثوم سوف تغني نشيد (على باب مصر) ثم أغنية (أنت عمري) لأول مرة، ويختم عبد الحليم الحفل.

الحرب الباردة

وهكذا بدأت الحرب الباردة بين أكبر معسكرين فى الفن المصري المعسكر الحليمي

والكلثومي، وأحس حليم فى هذا التغيير أن النية مبيتة ضد نجاحه. فكيف سيغني حليم والرئيس الراحل جمال عبد الناصر سيصحب ضيوفه الكبار إلى مطار القاهرة، ولا بد أن يغادر مقر الحفل قبل أن يغني حليم؟ وجلس العندليب والطويل والعمروسي يتدارسون الموقف فيما بينهم.

تساءل عبد الحليم عن سر التغيير فى برنامج الحفل وأسباب تأخره إلى ما قبل الحفل بيوم واحد، ومدى تأثير ذلك فى فقرته الغنائية. فقد كان حليم يعتقد أنه من الصعب عليه أن يغني بعد أغنية عاطفية طويلة لأم كلثوم وهي أغنية (أنت عمري)، لأنها بالتأكيد ستستحوذ على إعجاب المستمعين وتستنفد طاقتهم فى الاستماع. فمن يسمع حليم بعد ذلك؟

وظل حليم يفكر طويلًا حتى هداه تفكيره إلى الذهاب إلى نادي الضباط وحاول بشتى الطرق أن يلتقي بالمشير عبد الحكيم عامر ليشكو له هذه المشكلة، لكنه فشل فى الوصول إليه. وهو حائر وجد يدًا تربت على كتفه، فالتفت إلى الخلف إذا بالمشير عبد الحكيم عامر نفسه وسأله: «ما أسباب غضبك يا حليم؟»

فرد حليم مبديًا بعض الارتياح من القلق: «لاشيء». ومر جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت فرأى القلق والتوتر يبدوان على وجه حليم. وسأله عبد الناصر: «ماذا بك يا حليم؟». فرد المشير نيابةً عن حليم: «حليم زعلان يا ريس، لأنه سيغني آخر الحفل ويعتقد أن سيادتك سوف تقوم بوداع ضيوفك قبل الاستماع إليه». ففطن ناصر لغضب حليم وقرر تأجيل قيام طائرة الضيوف حتى يسمع لحليم.

ولكن أم كلثوم غنت فى الحفل كما لم تغن من قبل، وأطالت حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي؛ فى الوقت الذي كان الدم يغلي فى عروق حليم ووجهه يتصبب عرقًا. كان المفروض أن يغني فى تلك الحفلة أغنية (المسؤولية)، وخاف حليم أن يكون الاستقبال فاترًا عندما يصعد للغناء فى هذا الوقت المتأخر جدًّا، وإذا بالجمهور يستقبله بحرارة.

وتكلم حليم وهو يضمر شيئًا ما داخل قلبه للسيدة أم كلثوم. فقال: «بالتأكيد يشرفني ويشرف أي فنان أن يختم حفلًا غنائيًّا كبيرًا تغني فيه سيدة الغناء العربي وكوكب الشرق أم كلثوم».

وغنى حليم أغنية (المسؤولية) كأروع ما تكون، وعاد إلى بيته سعيدًا لأنه عبر عن إحساسه بالموقف كما كان يتمنى.

لكن فى صباح اليوم التالي، اتصل به المشير عبد الحكيم عامر هاتفيًّا، وبلهجة تشبه التهديد طلب منه أن يكون فى الساعة الثانية ظهرًا فى الإسكندرية. وطار حليم برفقة الفنان علي إسماعيل؛ فقد ظن أنه سيتلقى مكافأةً من القيادة، إلا أن هذا لم يحدث.

خرج حليم من مكتب المشير مكفهر الوجه، وكاد يجهش بالبكاء؛ فقد طلب منه المشير أن يعتذر للسيدة أم كلثوم، وقال له أن كلماته على المسرح قبل أن يبدأ فقرته الغنائية كانت بمثابة إهانة للقيادة نفسها ولأم كلثوم على وجه الخصوص، ولا بد أن يعتذر.

رفض الاعتذار

هنا انتفض الفتى النحيل، وركبه حصان الغرور والاعتزاز بكرامته وجمع كل قواه فى نفس واحد وقال للمشير: «اشنقوني.. انفوني.. اسحبوا مني الجنسية المصرية.. اطردوني من البلد.. امنعوني من الغناء.. لكن لن أعتذر؛ لأنني أنا صاحب الحفلة وأنا ابن الثورة، وكرامتي قبل فني».

ومن هذا الموقف أصبح حليم يقارن نفسه بأم كلثوم وأصبح فى حكم الجمهور قمةً غنائيةً. وزادت حدة الخلاف بين حليم وأم كلثوم، ووصلت إلى أقصى مدى لها، وأعلنت أم كلثوم أنها لن تغني فى أي حفلة يكون فيها عبد الحليم حافظ، وقالت وهي تشكو إلى كمال الطويل من حليم: «إن الأدب مطلوب للفنان يا كمال».

وعرف حليم؛ فذهب بدوره يشكو إلى صديق للطرفين – هو مصطفى أمين – فهدأ من غضبه وأذاب توتره. وكان مصطفى أمين بدبلوماسيته الشهيرة يسعى لوقف الحرب المشتعلة بين حليم وأم كلثوم، وكان يريد أن ينزع فتيل الأزمة ليعودا صديقين.

وفى الوقت الذي بدأ يشعر فيه الجميع أن أم كلثوم لها مكانة خاصة عند رجال السلطة لم يصل إليها فنان آخر؛ استطاع حليم من خلال مؤسسة العلاقات العامة وشبكة الاتصالات السرية التي كونها أن يقتحم بيوت كل المسؤولين، وأثار ذلك عليه غيرةً كبيرةً. ولكن كانت المفاجأة تنتظره فى العام التالي.

المفاجأة

جرى شطب اسم حليم نهائيًّا من حفل نادي الضباط الذي كان مقررًا له يوم ٢٧ يوليو، فأثار قلق حليم وزاده توترًا، وجلس فى حالة غضب شديدة يكتب خطابًا سريًّا إلى الرئيس

جمال عبد الناصر فيه كلمات أغنية (يا أهلا بالمعارك)، وقال حليم فى خطابه أيضًا: «لو كنت على سرير الموت وحانت لحظة الغناء فى أعياد بلدي فلن أتردد».

ومن هنا أمر الرئيس جمال عبد الناصر بتخصيص حفل آخر لعبد الحليم بالإسكندرية ليغني فيه (يا أهلا بالمعارك) وكانت هذه أول وآخر حفلة يغني فيها حليم أمام الرئيس جمال عبد الناصر فى حفل يُقَام بالإسكندرية.

ومضت الأيام وظل الجفاء مستمرًّا والخصام على أشده إلا من محاولة جادة لإصلاح ما أفسده الدهر بين أكبر قمتين للغناء فى الوطن العربي فى ذلك الوقت. كان صاحب هذه المحاولة للصلح بين حليم وأم كلثوم هو شمس بدران؛ الذي ذهب إلى بيت حليم، وأخذه فى يده وذهب به إلى فيلَّا أم كلثوم فى موعد تم تحديده لهذه المقابلة.

ودخل حليم فيلَّا كوكب الشرق ووجدها شامخةً كالهرم وهي تقول له: «واقف ليه يا زعيم. ما تجلس يا واد».

وتصالح الاثنان ليُسْدَل الستار على حرب باردة بين الطرفين: حرب استمرت لسنوات طويلة كعادة حروب القمم المتنافسة والمتصارعة على مقعد واحد فى ساحة الغناء العربي، مقعد القمة الذي لا يتسع إلا لمطرب واحد أو مطربة واحدة.

وانتهت الخلافات بينهما، وصار هناك ود ولقاءات متكررة حتى رحيل أم كلثوم قبل رحيل حليم بثلاث سنوات تقريبًا. لينتهي الصراع، وتنتهي المنافسة السرية والعلنية، والتي لولاها ما كان حليم وأم كلثوم على قمم الغناء العربي، وما كنا استمتعنا بنوادرهم الفنية التي ما زالت تعيش فى وجداننا حتى اليوم رغم مرور نصف قرن على بعضها و٤٠ عامًا على رحيل حليم.

الباب الثالث:
وردة وحليم: خطف، وخصام، وقبلات

وردة: هل دبرت مكيدة فشل حفل الربيع للعندليب؟

كان يجمع بين حليم والمطربة وردة الجزائرية ود كبير، حتى أن أنجح أغنيات حليم كانت من ألحان الموسيقار بليغ حمدي الذي كان متزوجًا لأكثر من ٧ سنوات من المطربة وردة ...

ولكن فجأةً توترت العلاقة بينهما، وشن كل منهما هجومًا على الآخر، وصار صديقا الأمس عدوا اليوم، واستمر الجفاء بينهما من دون أن يتمكن أحد من إذابة هوة الخلاف السحيقة بينهما. وبالطبع انحاز بليغ إلى زوجته، وانقطعت أواصر العلاقة بين حليم والملحن العظيم بليغ حمدي على خلفية تلك الخصومة.

الغيرة والمنافسة

المنافسات بين نجوم تلك المرحلة الملتهبة بالأحداث السياسية والفنية – والتي كانت تمر بتقلبات شرسة على يد ضباط الثورة – جعلت الإشاعات وقودًا لمعظم العلاقات بين الفنانين والفنانات، وجعلت الخلافات تزداد لأن كلا منهم كان يريد أن يكون صاحب نفوذ وأن يجمع حوله عددًا من أصحاب السلطة.

فى تلك الفترة تحديدًا تردد وجود مشاكل بين حليم ووردة، على الرغم من أن الحقيقة كانت بعيدةً تمامًا عن ذلك، فقد كان خلافًا بسيطًا فى وجهات النظر، إلا أن المستفيدين منه أوقدوا فيه فتيل الاشتعال ليستمر حتى جاء العام ١٩٧٣؛ وذابت كل الخلافات بين النجوم، كذلك اختفت التناقضات بعد انتصارات أكتوبر.

وبالفعل كان هناك فى وقت من الأوقات غيرة فنية أدت إلى توتر العلاقة بين حليم ووردة، خاصةً عندما بدأ بليغ حمدي يختصها بألحانه حيث قدما معًا مجموعةً من الأغنيات التي نجحت فنيًّا وتجاريًّا، فشعر عبد الحليم بأن وردة أخذت بليغ بعيدًا عنه. ولكن القطيعة بينهما لم تكن لتستمر، فذكاء عبد الحليم استطاع أن يستفز غيرة بليغ الفنية، والقصة التالية توضح لنا كيف حدث هذا الاستفزاز.

حليم يستفز بليغ

كان عبد الحليم له تقليد جميل – كما يذكر وجدي الحكيم – فأثناء بروفة أي لحن جديد يدعو بقية الملحنين للحضور والاستماع إلى الأغنية وهي فى طور التجهيز. وذات يوم كان يعمل فى بروفة أغنية (رسالة من تحت الماء) التي عاد بها إلى ألحان الموسيقار محمد الموجي بعد غياب سنوات من القطيعة الفنية بينهما.

وجلس بليغ يستمع للحن وهو يغلي. وبمجرد انتهاء البروفة دخل بليغ حجرة عبد الحليم وأمسك بالعود وطلب من حليم الاستماع إلى مقدمة أغنية (أي دمعة حزن لا).

فلم ينم حليم حتى الصباح وطلب من وجدي الحكيم فى اليوم التالي أن يذهبا معًا للبحث عن بليغ فى كل مكان، لأن الجملة الموسيقية ظلت ترن فى أذن حليم. ويقول وجدي الحكيم:

«وأخذنا نبحث عن بليغ فى كل مكان حتى يسجل تلك الأغنية، واصطحبني حليم فى تلك المهمة، ولكن من دون جدوى؛ حتى أننا ذهبنا إلى المطار لنسأل عما إذا كان بليغ قد غادر البلاد أم لا. وعرفنا أنه توجه إلى لبنان».

البحث عن بليغ وغضب وردة

على الفور وبلا تردد قررا السفر وراءه إلى لبنان ونزلا فى الفندق الذي كان ينزل فيه. وعرف بليغ أن حليم فى بيروت، وهناك لقاء سيكون بينهما فى صباح اليوم التالي. كان بليغ فى تلك الرحلة برفقة زوجته المطربة وردة يقضيان أجمل أوقات الاستجمام.

وفى اليوم التالي التقى بليغ ووردة وحليم ووجدي الحكيم لتناول طعام الإفطار معًا فى أحد المطاعم، وبعد ذلك غادر حليم وبليغ المطعم، وتركا وردة ووجدي الحكيم.

ومضت ساعة وساعتان وثلاث وتأخر الوقت ولم يعودا، فقررت وردة العودة إلى الفندق وعاد معها الحكيم. إلا أن المفاجأة التي أذهلت وردة وأغضبتها بشدة من حليم هي أنه أخذ بليغ وعاد به إلى القاهرة ليستكمل هذه الأغنية ويسجلها.

وحزمت وردة حقائبها، وعادت هي الأخرى للقاهرة وهي تلقي باللوم على حليم الذي قطع إجازتهما، وكذلك غضب الحكيم من حليم وبليغ وقرر أن يقوم بعمل مقالب فيهما من هذا النوع.

وكل هذا كان بسبب جملة موسيقية فى أغنية (أي دمعة حزن لا) ما إن سمعها حليم حتى ظل يبحث عن صاحبها ليسجل اللحن بالقاهرة، وعلى الرغم أن حالته الصحية فى تلك الفترة لم تكن على أفضل حال؛ فإنه إلى هذا الحد استفز كل منهما الآخر – حليم وبليغ – وهذه الاستفزازات المستمرة كانت دائمًا فى مصلحة الفن وفى مصلحة الجماهير العريضة التي استمتعت بهذا الفن.

وهذا يظهر إلى أي مدى كان حليم مؤمنًا بفنه على حساب صحته، حتى لو

كان ذلك أغضب وردة منه فى أكثر من مناسبة.

إن حالة الخصام بينهما بدأت تطفو على السطح مرةً أخرى وازدادت حدةً هذه المرة. وما يفسر ذلك أنه قبل ٤١ عامًا، وتحديدًا فى عام ١٩٧٦ شهدت حفلة العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ الشهيرة أحداثًا مؤسفةً، وذلك عندما اصطدم حليم بنفر من الجمهور أرادوا إفساد حفلته، وقِيل يومها إنها مؤامرة دبرتها وردة وبليغ حمدي ضده.

وتعرض العندليب لحملة عنيفة سببها ما حدث فى الحفل، وأدى إلى انقسام الكتاب إلى فريقين، فريق وجه إليه اللوم وقال إن الجمهور ضربه بالطوب عندما ظهر فى أول حفل، فضرب حليم الجمهور بالطوب فى آخر حفل، وفريق تعاطف معه والتمس له الأعذار، وقال إنه مريض وإن المرض جعل منه إنسانًا عصبيًّا، بل إن المسؤولين فى التلفزيون جعلوه يعتذر للجمهور عن ذنب لم يرتكبه وخطأ لم يقع فيه.

ظلموه

ولم يكن الصمت فى مصلحة عبد الحليم لأنه يعني الاعتراف بالخطأ، ومن وجهة نظري أن الذين لاموه ظلموه، والذين تعاطفوا معه ظلموه، والذين جعلوه يعتذر للجمهور فى التلفزيون ظلموه أيضًا، لأن الجميع لم يسمعوا دفاعه، ولا إدانةً دون استعراض ما حدث وسماع دفاعه عما صدر منه. ولكن حليم يروي بالتفصيل ما حدث فى الحفل..

فقال: «عندما واجهت الجمهور غنيت أولًا (عاش) ثم قدمت من شاركوني فى العمل لا عن شهوة الخطابة كما قال البعض، وإنما اعترافًا بما بذلوه من جهد، وأثناء تقديمهم سمعت من يصيح: (الصوت)، فالتفت للمسؤولين عن الصوت، فقالوا إن الصوت مضبوط».

«وعاد الصياح: (الصوت)؛ فسكت وظللت ساكتًا فترةً من الزمن. فإذا بالصياح يعلو: (الصوت) للمرة الثالثة. فقلت لمن يصيحون: أنا ما قلتش حاجة علشان تقولوا الصوت، فإذا بهم يقولون للمرة الرابعة: (الصوت). حينئذ أدركت أنها مؤامرة مدبرة. ولذا قررت تجاهلها. وبدأت الغناء، قلت المقدمة وأثناء الإعادة وجدت واحدًا (شايل) بدلةً مثل بدلة البلياتشو، ويريد أن يلبسها لي».

«وأثناء هذه الحركة ارتفع صوت (الصفافير)، بل إن أحدهم كان يطلق صفارةً من النوع الذي يحمله عساكر المرور. وإذا كان التصفيق دليل الاستحسان فالصفير دليل الاستهجان،

وعلى الرغم من ذلك تمالكت نفسي وقلت للذين يحدثون الضجة وعددهم محدود (كفاية بأه) ولو أن جمهور الحفل شعر بأنني قصدت إهانة نفر منه لما تجاوب معي، لكنه صفق لي تأييدًا منه لموقفي».

«وانتهى الحفل فى الساعة الخامسة صباحًا من دون أن يغادر أحد المكان، وتحفظ رجال البوليس على خمسة عشر شخصًا كانوا يحدثون الشغب؛ علمًا بأن جمهور الحاضرين كان يزيد على ثمانية آلاف شخص».

مؤامرة فى حفل الربيع

كانت هذه هي أقوال عبد الحليم والذين تابعوا الحفل فى التلفزيون، فما الذي جعل هؤلاء النقاد يقفون من عبد الحليم هذا الموقف؟

أحد أمرين لا ثالث لهما: فإما أنها مؤامرة حقيقية ضد عبد الحليم، بدأت فى الحفل وأُحبِطت بالقبض على من قاموا بتنفيذ المخطط المرسوم للمؤامرة، فأكملها هذا النفر من النقاد بالنشر لكي يتحقق هدف المؤامرة، وإما أن شهوة الإثارة جعلت البعض يشعلون النيران لتقديم المزيد!

وقد وُجِّهت اتهامات صريحة للمطربة وردة وزوجها بليغ حمدي بالتربص، وكان هناك خلاف بالفعل بين عبد الحليم ووردة؛ ربما يكون سببه انفصال وردة عن شركة صوت الفن. وقد ذكرت وردة أنها كانت مترددةً فى هذا الانفصال رغم الإغراء المادي الذي عرضته عليها شركة صوت الحب، إبقاءً على صلات الود مع عبد الوهاب وعبد الحليم.

والواقع أن وردة ظلمت عبد الوهاب وعبد الحليم بهذا التصور، لأن شركة صوت الفن مؤسسة فنية تجارية، وسبب هذا الخلاف هو أن صوت الفن كانت تعطي وردة ٢٥٠ جنيها فى تسجيل الأغنية، فى حين أنها حصلت على ٥ ألاف جنيه عن الأغنية عندما سجلتها فى فيلمها لصوت الحب. وإذا كان البعض قد أكد لها أن صوت الفن تقوم بعمل دعاية جيدة لأسطواناتها، فإن وردة كانت على ثقة بأن كل شركات الإنتاج تفعل ذلك.

وتطور الخلاف بين وردة وصوت الفن بعد أن أبلغها مجدي العمروسي أن عقدها انتهى ويجب تجديده، فطلبت أن يكون هناك عقد جديد بشروط مادية جديدة، مما أغضب العمروسي، فأرسل لها برقيةً بأن الشركة لا ترغب فى

تجديد العقد.

ولأن عبد الوهاب وحليم كانا شريكين فى شركة صوت الفن، فقد يكون عبد الوهاب قد فعل ذلك؛ لأن العمروسي قد لا يجرؤ على فعل ذلك بمفرده من دون الحصول على موافقة عبد الوهاب وحليم.

مناوشات

وطلب عبد الوهاب وردة فى بيته فى وجود العمروسي لتصفية الخلاف وعودة وردة، إلا أنه قام عندما بدأت تملي شروطها واتجه إلى غرفة نومه بما يعني أن زيارة وردة انتهت، وأنه ليس هناك أحد يفرض شروطه عليه.

ومن هنا بدأت خلافات أخرى تطفو على السطح صورها البعض بأن المنافسة بينها وبين حليم على أغنيات بليغ من جهة أو أنها تنافس حليم فى التوزيع بشركة صوت الفن من جهة أخرى.

وزادت فجوة الخلاف بين وردة وحليم مرةً أخرى، وبدأت المناوشات وتحولت إلى خلاف صريح عندما نشر حديث محرف لوردة ذكرت فيه أنها ترفض الاشتراك مع عبد الحليم فى حفل واحد. وقد ذكرت وردة أن ما ورد فى هذا الحديث على لسانها غير صحيح.

لكل هذه الأسباب؛ كان يوجد إصرار من جانب أنصار عبد الحليم على اتهام وردة وبليغ حمدي بتدبير مؤامرة حفل الربيع، لكن عبد الحليم كان يبرئهما كثيرًا نظرًا للصداقة التي كانت تربطه بالموسيقار بليغ حمدي.

وفى هذه الأثناء اقترح البعض على حليم الصلح مع وردة لإنهاء تلك الخلافات، إلا أن حليم كان يردد كثيرًا أن وردة تضع رأسها برأسه، وهو متفوق عليها سواءً كصوت غنائي أو كنجم سينمائي – كما كان يرى – ثم إنه حتى لو كان مستعدًّا للصلح فإنه لن يوافق على أن تأتي الخطوة الأولى منه.

وهي بالمثل كانت ترى ذلك أنها لا تقل شيئًا عن حليم، وأنها نجمة كبيرة ولها جمهورها وثقلها الفني.

فتم تدبير هذا الأمر مع صديق للطرفين هو الموسيقار أحمد فؤاد حسن قائد الفرقة الموسيقية الماسية التي كانت ترافق حليم ووردة كثيرًا فى حفلات تلك الفترة، واقترح الموسيقار الماسي أن يكون الصلح فى بيته بمناسبة احتفاله بعيد ميلاد ولديه (خالد وعبير)

وحدث هذا اللقاء مساء الخميس ٢٤ يونيو ١٩٧٦.

وفى تلك الليلة حضرت وردة وبليغ وبعدهما جاء عبد الحليم، وعندما التقى الاثنان تعانقا، لكن كل واحد منهما جلس فى ركن بعيد عن الآخر وعندما استقر كل منهما فى مجلسه نادى فؤاد كلا من عبد الحليم ووردة، قال لعبد الحليم إن التلفون يطلبه، وقال لوردة إن هناك من يريد أن يحدثها.

وخرج عبد الحليم للتحدث مع من طلبه فلم يجد أحدًا، وكذلك وردة، عندئذ دعاهما فؤاد للجلوس على (كنبة) واحدة متجاورين فلم يترددا، وقال عبد الحليم لا يوجد بيني وبين وردة أي خلاف، وردت وردة الخلاف بينه وبين بليغ، فقاطعني عبد الحليم.

عتاب وصلح

بعدها تبادلا الحديث، وكان حديثهما عتابًا، والمهم أن الإشراقة والابتسامة بدأت تعلو وجهيهما، فبدأ المصورون يلتقطون لهما صور الصلح الذي تم فى بيت أحمد فؤاد حسن. وقالت وردة: هذه أول مرة أظهر فيها مع عبد الحليم فى صورة. فقال لها عبد الحليم: بل ظهرنا قبل ذلك فى مناسبة زواجك من بليغ.

وأبدى الموسيقار الماسي ارتياحًا وسعادة بحدوث الصلح فى منزله وإحلال السلام والحب بدلًا من النفور والخصام بين عبد الحليم ووردة.

وقالت وردة لاحقًا عن تلك المنافسة:

«إن المنافسة بين المطربين والمطربات وصراعهم على الألحان المتميزة لدى بعض الملحنين قد يجعل هناك غيرةً قويةً بينهم. ومن الصعب أن نجد فى مجتمعاتنا علاقات فنية بين الفنانين لا تتحكم فيها العقد والأنانية، ومن الصعب أن تجد اثنين من المطربين على وفاق أو حتى يسيران معًا، أو تلتقط لهما الصور معًا وهذا ما يتعبني نفسيًّا».

«وأنا لا أقول ذلك من أجل إصلاح المجتمع الفني، ولكن لكي أقول إن هذا هو تفكيري وعقليتي، ولا بد من أن تحدث الخلافات بين العاملين فى أي وسط، وأنا بالفعل كنت أختلف مع عبد الحليم حافظ لكن خلافاتنا كانت وديةً وغير طويلة، حتى أنني صرت أقول بعد وفاته مع من سوف أختلف ثم أتصالح؟ وفى الحقيقة أنه لم يكن عندي صديق سواه بين المطربين».

الباب الرابع:
نادية لطفى

نادية: هذا حليم: الفنان والإنسان والحبيب

والصديق الذي عرفته!

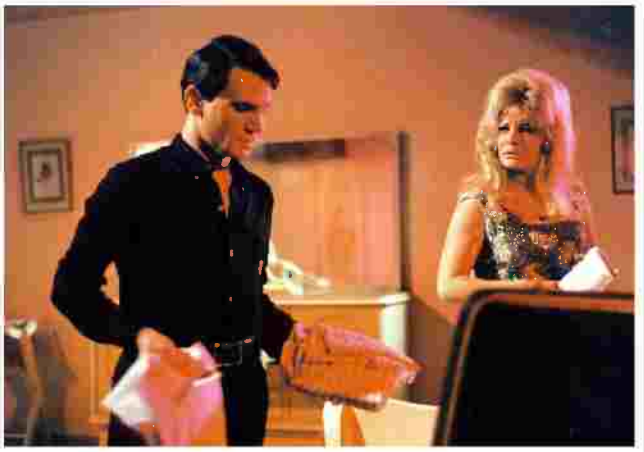

فى هذا الباب نتابع قصص وحكايات حليم مع المرأة، حبيبةً، وصديقةً، وزميلةً له فى الغناء وفى السينما. وقد كانت النجمة الكبيرة نادية لطفى هي إحدى بطلات أفلام عبد الحليم حافظ. تحديدًا كانت بطلة لفيلمي (الخطايا) و(أبي فوق الشجرة)، وكان حليم يغني لها وكان الجمهور يتسابق فى عد القبلات التي حصلت عليها نادية لطفى من حليم عندما كان يقبلها كثيرًا فى الفيلم الأخير.

إلا أن شائعةً ظهرت كان مفادها أن نادية لطفى كانت تأكل البصل حتى يبتعد حليم عن تقبيلها فى هذا الفيلم كثيرًا. لكن كيف كانت ترى نادية لطفى شكل علاقتها بالعندليب التي روجت بعض القصص والشائعات بوجود قصة حب عنيفة بينهما كانت السبب فى اختيارها بدلًا من هند رستم لفيلم (أبي فوق الشجرة)؟

العسل والبصل والقبلات

بدايةً؛ أصرت نادية لطفى على توضيح هذه النقطة التي تظهر وتختفى بين الحين والآخر، وأكدت أنها لو لم تكن تريد أن يقبلها عبد الحليم فى الفيلم أو أنها كانت ترفض تلك القبلات لكانت اعتذرت عن الدور منذ البداية عندما رُشِّحت له، لكن أن يُقَال إنني كنت أتناول البصل فى وجباتي حتى لا يقبلني حليم فهذا أمر غريب أن أسمعه لأنه بعيد تمامًا عن الحقيقة.

وتقول نادية لطفى عن علاقتها بحليم إنها كانت تعرفه جيدًا، وتجمعهما صداقة قبل أن تعمل معه فى السينما؛ لأنها كانت تتابع حفلات أضواء المدينة لصالح المجهود الحربي وكان حليم يشارك فيها، كما كان تجمعهما صداقة الشاعر الكبير كامل الشناوي؛ فكان حليم يعشقه مثلها لأنه من العقول الكبيرة والنبيلة والنماذج الإنسانية التي قلما يجود الزمن بها.

وحليم كان يشعر أنه دائمًا تلميذ؛ عليه أن يتعلم ويعرف وكان طيب القلب وصبوح الوجه. ولو حدث وغضبت منه فإنك عندما تنظر إلى وجهه تنسى كل المشاكل والخلافات.

وإذا كان الشاعر الغنائي الكبير محمد حمزة – الذي غنى له حليم ٢٥ أغنيةً من تأليفه وكان قريبًا جدًّا منه – يؤكد على مسؤوليته بأن حليم وقع فى حب بطلات أفلامه أيضًا أثناء تصوير تلك الأفلام؛ حتى تكون مشاهد الحب فى الأفلام صادقةً، واستمرار هذا الحب طوال أيام التصوير وأنه ينتهي بعد الانتهاء من الفيلم بسبب أن حليم لا يحب أحدًا أكثر

من حبه لفنه؛ حتى أنه رفض زرع الكبد لأن من أثاره الجانبية تأثيرًا بسيطًا على الحنجرة بنسبة لا تزيد على ٢٠٪.

إشاعات

تقول نادية لطفى فى حوار خاص معها حول علاقتها بحليم: «فى عام ١٩٦٢ شاركت عبد الحليم بطولة فيلم (الخطايا)، ثم تلاقينا مرةً ثانيةً فى فيلم (أبي فوق الشجرة) عام ١٩٦٩؛ وهو الفيلم الذي استمر عرضه ٤٥ أسبوعًا، وحطم كل أرقام الإيرادات التي حققتها أفلام كبيرة فى تاريخ السينما المصرية».

«وقبل تصوير فيلم (أبي فوق الشجرة) بأسابيع قليلة طلب حليم من المخرج حسين كمال أن أكون أنا بطلة الفيلم بدلًا من هند رستم؛ التي كانت مرشحةً لبطولة الفيلم قبلي، وقبل المخرج. ولكن هذا التحول حرك المياه الراكدة فى الوسط الفني كله؛ إذ إن الإشاعات رددت وجود علاقة غرامية بيننا، ولولا تلك العلاقة ما كان وقع اختياره علي قبل تصوير الفيلم بدلًا من هند رستم».

«وبمجرد أن سافرنا إلى بيروت عادت تلك الإشاعات تطل من جديد حول حكاية غرامنا السري، وأن عبد الحليم ما اقترح تصوير أغنية (جانا الهوى) التي غناها لي فى الفيلم فى لبنان إلا من أجل توفير فرصة لتمضية أيام حلوة معي بعيدًا عن القاهرة؛ حيث العيون تراقبنا وتحصي تحركاتنا».

خلاف وتصالح وتجارب

«المهم أن الذي حدث أثناء تصوير الفيلم جاء لينفى تلك الشائعة، وهو أن خلافًا ماديًّا حدث بيننا أدى إلى توقف تصوير الأغنية يومًا كاملًا. ولم يطل غضبي طويلًا، فقد قدرت بيني وبين نفسي ظروف عبد الحليم، والأسباب التي جعلته يعتذر عن عدم استطاعته زيادة أجري عن الفيلم، فعدت إلى استئناف تصوير الفيلم بأعصاب هادئة، وساعدني على ذلك وجود ابني أحمد الذي اصطحبته معي خلال هذه الفترة؛ حيث جاء من أمريكا لقضاء أجازته السنوية».

«ومرت سحابة الخلاف بيني وبين حليم، وهذا الخلاف العابر كان دليلًا قاطعًا ضد هواة الشائعات بأن ما بيني وبين حليم هو صداقة وزمالة عمل وليس حبًّا».

«ولكن قد تشعر بالدهشة إذا قلت إننا كنا فى حالة خصام دائم أثناء تصوير هذا الفيلم، وكانت هناك خلافات على بعض التفاصيل فى العمل، ولم تكن علاقتنا على ما يُرَام، ولكن ذلك لم يظهر أبدًا على الشاشة. بل ظهر العكس: علاقة حب ومودة تجمعنا».

«وسرعان ما تصافت القلوب، لأن حليم كان عف اللسان، وفيه حياء يدهشك، يحمل طيبة ابن الريف وأصالته وصفاء قلبه، وفى الوقت نفسه لا تستطيع أن تخدعه بسهولة، فلم يكن ساذجًا، بل علمته الأيام تجارب عميقة جعلته يستوعب الحياة والبشر».

حليم يغني خصيصًا

«حليم غنى لي (جانا الهوى) و(مغرور) و(الحلوة) و(قولي حاجة) فى الفيلمين، وأنا لا أحتفظ بشرائط كاسيت تحوي أغنيات الفيلم، إنما أسمعها حين تُذَاع فى الراديو والتليفزيون، وكثيرون جدًّا عندما يقابلونني حتى يومنا هذا يقولون لي: يا بختك؛ عبد الحليم كان بيحبك وغنى لك هذه الأغنيات الحلوة، فأضحك من قلبي».

«وعندما أشاهد الآن هذين الفيلمين وبعض أفلامي القديمة الحلوة أقول: الله كان شكلي حلوًا قويًّا، وملابسي حلوةً وأدائي جيدًا، والحمد لله إنني لم أشعر بكل هذا فى وقتها؛ لأنني لو أحسست بهذا لكنت شعرت بالغرور».

حليم كما عرفته

وتواصل نادية لطفى حديثها عن حليم من خلال علاقتها القوية به كصديق وإحدى بطلات أفلامه وتقول:

«لقد عرفت حليم ككتلة واحدة، وكانت معرفتي بجوانبه المختلفة؛ حيث كنت أراه مرةً مثل البدر ومرةً أخرى فى المحاق. ومن وجهة نظري لا يمكن أن ترى الفنان من جهة واحدة كأن نفصل بين الفنان والإنسان، بل هو كما قلت كتلة واحدة».

«وأنا عاصرت حليم وتأملته ورصدت معظم جوانب حياته، ولكن لا يوجد إنسان لديه القدرة على الادعاء بأنه يفهم إنسانًا آخر فهمًا كاملًا وطول الوقت، بل إننا نفهم الناس على حسب موقعنا الجغرافى والزمني. وفى المواقف العامة كلنا نتفق على أن حليم كان

من الشخصيات المضيئة التي لها إشعاع وقدرة على امتصاص ثقافات من يحتك بهم من عباقرة عصره».

عظيم فى حلمه وفى انكساره

«وأعتقد أن حليم كان عظيمًا فى حلمه وفى انكساره.. فى ألمه وفى سعادته. كان نبيلًا إلى أقصى حد وفى كل الجوانب التي استطاع أن يضيء بحساسيته المرهفة حتى المظلم منها. حليم كان يمتص ثم يجتر كل تجارب حياته الحلو منها والمر تمامًا مثل النحلة التي تمتص الرحيق لتفرزه عسلًا مُصَفى».

«مواقف حليم الإنسانية أؤكد أنه لا يستطيع أحد أن يحصيها لسبب: إن معظمها ظلت فى طي الكتمان والسرية، لأن صاحبها لم يرد أن يعلن عنها لأحد، ولذلك أشعر بالخجل إذا تحدثت عن أشياء من هذا القبيل باعتبارها من الأعمال السرية الخاصة بين حليم وربه».

«وإن كنت أستطيع القول إن حليم عاش حياةً أسريةً نبيلةً؛ حيث كانت له أسرة يرعاها ويعيش معها مشاعر الأب والأخ والصديق، فهو كان يعشق جو الأسرة والبساطة الأسرية بدون تقيد أو تكلف، وأسرته كانت هي أهله، ولم يتنكر لأقاربه من قريته أبدًا، لذلك كله عاش حليم إلى اليوم لأنه كان إنسانًا مخلصًا لفنه ولوطنه ولأسرته».

«إنني أرى أنه لو لم يكن حليم خيرًا بطبعه فإنه كان سيصعب أن يكون معطاءً، والفن عطاء، وهو كان يعطي حياته للفن ثم يهب فنه إلى جماهيره ومحبيه».

وتردف نادية بقولها:

«أنا لست مع من يسرفون فى تناول مسألة الضعف الجسدي لعبد الحليم حافظ، لأنني أرى أن مرضه كان يولد تأملًا وقدرةً فائقةً على الصبر، كما يحقق خلخلةً فى مراكز الإحساس، فيصبح الشخص ذا مشاعر مرهفة، والإصابة الجسدية جعلت حليم يسمو على المادة، وأنا أعتبره من أقل الناس استمتاعًا بالمادة».

«كان عبد الحليم حافظ بضعفه وباستكانته يجبرك على أن تحبه أو تتبنى آلامه، أو تأخذه صديقًا أو أخًا أو تتبناه. لماذا؟ لست أدري! وعبد الحليم كان مثل قناة السويس؛ فهو الذي يدر دخلًا ماديًّا منذ رحيله وحتى اليوم، وهذا الدخل يُقَدر بالملايين كون أعماله ما زالت تحقق نجاحًا بغير منافس بعد ما يقرب من ٤٠ عامًا على رحيله».

خفة دم حليم

«ومن الأشياء التي لمستها عن قرب فى حليم هو أنه كان يتمتع بخفة الدم. فهو يجبرك على احترامه، وقبل احترامه يجبرك على حبه، وبالتالي يكون سهلًا جدًّا أن تمشي وراءه وتسمع كلامه. فحليم كانت لديه شخصية قيادية قوية، بل أعتبره كان بالفعل رئيس مجلس إدارة مجموعة من الكتاب والمثقفين وأيضًا السوقيين، لأن قصة صعوده من القاع إلى القمة جعلته ملمًا بأساليب التعامل مع مختلف الفئات».

«هكذا كانت أعماق هذا الفتى برغم ما يحمله من وجه طفولي جميل جعل الناس يتسابقون على احتضانه والتقرب إليه».

حليم الفنان والإنسان

«أما عبد الحليم حافظ الممثل فإنني أعتبره من خلال الدورين اللذين قام بهما أمامي لا بديل له وسط عظماء الممثلين، فهو كان يعرف كيف يختار أدواره، ولو حاولت أن تتصور الفيلم بدونه لوقع الفيلم فورًا، وأنا لا أبالغ فى هذا، وأعتبره مثله مثل أي نجم عالمي كبير مثل لورانس أوليفييه، ولكن ميزة حليم أنه كان يعلم جيدًا قدراته، ومتى وكيف يظهر لجمهوره».

«فمثلًا تستطيع أن تسأل نفسك سؤالًا حول دور حليم فى فيلم (الخطايا)، وحاول أن تجيب على هذا السؤال: من كان يمكن أن يقوم بشخصية حسين فى الفيلم؟ فلو اخترت أعظم ممثل وقتها لهذه الشخصية فإن الفيلم كان سيقع ويحقق فشلًا ذريعًا مع تقديري الشديد للزملاء الآخرين، ولكن حليم استطاع أن يخلق من هذه الشخصية شيئًا خاصًّا به، وكان رائعًا فى تجسيدها والإضفاء عليها من روحه ودمه».

وتردف نادية لطفي:

«فنه هو كل حياته. كان يعطيه كل الوقت والجهد والتركيز. وأذكر فى فيلم (الخطايا) أيضًا الذي شاركته بطولته أنه قام بعمل دراسة نفسية واجتماعية عن شخصية حسين التي جسدها فى الفيلم، ولم يكن يكف عن الاتصال بالمخرج حسن الإمام لمعرفة كل التفاصيل الدقيقة فى الفيلم؛ خاصةً شخصية حسين بكل تصرفاتها وردود أفعالها».

سفيرًا للفن العربي

«كان يعرف أنه ليس مطربًا عاديًّا بل سفيرًا للفن العربي كله، ولذلك حرص على أن

يمتد تأثيره إلى خارج حدود الوطن العربي. وأذكر أنني حضرت إحدى حفلاته فى لندن، ووجدت نفرًا غير قليل من جمهوره كان من الأجانب، ولا أنسى أبدًا حالة الذهول البادية على وجوههم وهم يستمعون إلى أغانيه وصدق أدائه وحرارة صوته، ورغم أن بعضهم لا يفهمون معنى الكلمات إلا أنهم صفقوا له بحرارة».

«ولم أكن مبالغةً عندما قلت له نحن مجرد (كومبارس) فى أفلامك.. (سنيدة).. وذلك لإدراكي أن الجمهور كان يذهب لعبد الحليم بغض النظر عن أي نجمة كانت تقف أمامه. وحليم كان يعرف ماذا يريد من جمهوره، ويعرف مدى تفاعل الجمهور معه، وإذا أحس أن الحرارة انخفضت بينه وبين الجمهور كان لا يغمض له جفن حتى تعود إلى طبيعتها، ويستعيد الخط البياني وضعه. هكذا كان حليم وهكذا عرفته».

الباب الخامس:
ديدي: الحب الوحيد فى حياة حليم

بكاها عند الرحيل وقال: «لن أتزوج بعدك امرأةً أخرى»

عاش حليم الكثير من قصص الحب، وتصور البعض أنه كالفراشة التي تتنقل من غصن إلى آخر ومن امرأة إلى أخرى، ولكن الحقيقة أنه كانت بداخله قصة حب حقيقية عاش معها ولها وبها، وحاول جاهدًا إبقاء حبها بعيدًا عن أعين الفضوليين كعادة حليم أن يبقي حبه سرًّا.

وعندما شدا حليم بأغنيته الشهيرة (بتلوموني ليه) على شط الإسكندرية لم يكن ينظر إلى زميلته الفنانة مريم فخر الدين بطلة فيلمه (حكاية حب)، بل امتد ببصره إلى ما وراء الأفق؛ لينظر فى عيني حبيبته الصغيرة التي أغلق الأبواب على قصة حبه لها فلم يعرفها حتى أقرب المقربين إليه.

عائلة أرستقراطية

كانت ديدي – أو جيهان – فتاةً جميلةً ورقيقةً جدًّا، وتنتمي إلى عائلة كبيرة تقدس التقاليد الأرستقراطية، وتبحث عن الشاب الذي يناسب جوهرتهم الغالية، وقد اختاروا لها ابن عمها وتمت الخطوبة، ولكنها انتهت بالانفصال. إلا أن جدها الباشا كان يرى أنه لا حب فى زواج أبناء الأسر الكريمة من أبناء الباشوات، فالزواج يتم بالعقل فقط.

لكن الجوهرة كانت تحب بكل ما فى قلبها من حب وبكل ما فى كيانها من مشاعر. أحبت الفتى الأسمر النحيل، صاحب الصوت الدافئ والمشاعر المتدفقة، الذي صعد نجمه وتألق وأصبح ملك الأبصار والأسماع والقلوب.

لكن حليم أدرك بذكائه الفطري أن حبه لن يعيش تحت الأضواء، فالحب كالشمعة التي لا تضيء تحت تيارات الهواء، إنما تحتاج إلى دفء الأماكن المغلقة لكي ينتشر ضوؤها ويبدد ظلام الليل. صمت حليم وعاش مشاعره بمفرده، ولم يشرك معه إلا قلبه الذي كان يملؤه الأمل فى استمرار هذا الحب.

وكأي قصة حب لا بد أن تُتَوج فى النهاية بالزواج، ولذلك تقدم العندليب إلى أهل هذه الفتاة التي استطاعت أن تقتحم قلبه وتسكن فيه، وما إن طرق باب بيت الحبيبة طالبًا خطبتها حتى واجه ستارًا حديديًّا بينهما. اسم العائلة الكبيرة التي رفضت، وأصرت على الرفض، ولم يعترف الأهل بعمق ما بين الحبيبين، بل اعتبروا علاقتهما مجرد نزوة سوف تنتهي بمرور الوقت.

بل إنه فى اليوم الذي تقدم فيه لخطبتها كانت هناك حفلة بالصدفة فى بيتها، فطلب

الجد من حليم أن يغني فى هذا الحفل لأن هذا اليوم يمثل مناسبةً كبيرةً فى الأسرة، وهو عودة المياه إلى مجاريها بين الخطيبين المنفصلين بين ديدي أو جيهان وابن عمها، فرد عليه حليم أنه لم يأت لكي يغني، ولكن جاء طالبًا يد كريمتهم.

وقُوبِل طلب حليم بالرفض القاطع، فهرول مسرعًا إلى الخارج، ولمحت الحبيبة انكسار قلب حبيبها، ووعدته أنها لن تكون زوجة لإنسان غيره مهما كان الثمن. وخرج حليم من البيت حزينًا متألمًا معذبًا مكسورًا فى عواطفه وكرامته.

رحلة العذاب والمرض

ووسط موجات عذابه المتلاحقة لم يفصح حتى عن اسمها. كان يخشى أن تصيبها الضجة الإعلامية المُثَارة من حوله، بل كان يخشى عليها من نسمات الهواء عندما تداعب جدائل شعرها. أما هي فكان ألمها أكبر مما تحتمله سنوات عمرها القصيرة. وأسقط فى يدها، فهي لا تملك قوة التصدي لتعنت الأسرة، ولا تعرف كيف تدافع عن حبها أمام عنف التقاليد الصارمة.

وفجأةً يداهمها مرض خبيث فتستسلم له بكل قوتها. لم يكن لديها الرغبة فى الحياة التي حرمتها ممن تحب ولم تعد تشعر إلا بالألم سواء فى جسدها أو قلبها أو روحها.

ويتمكن المرض من الكيان الرقيق فيحطم أواصر صلته بالحياة شيئًا فشيئًا؛ إلى أن تموت الحبيبة فى أواخر العشرينات من عمرها، وتتزلزل الدنيا تحت أقدام الحبيب، وتظلم شمس أيامه التي تحولت إلى ظلام دائم، ومع كل هذا الحزن وكل هذا الألم كانت الرغبة الدفينة هي اللحاق بالحبيبة حتى فيما وراء الحياة.

رحلت بمرض لا يُصَاب به إلا واحد فى المليار، وقالت له قبل الرحيل: «أريدك أن تتزوج يا حليم حتى أطمئن عليك»، وكان ذلك قبل وفاتها بقليل وهي على فراش المرض عندما هم حليم للقائها فى المستشفى رغمًا عن أنف أسرتها. فرد حليم عليها وقال: «لن أتزوج بعدك ولا قبلك من امرأة أخرى». وعاش حياته على هذا الأساس.

هذه القصة التي تُعَد الأشهر فى حياة حليم والتي بدأت مواكبةً لانطلاقته وشهرته، وقد ظهر ألمه واضحًا من خلال أغنياته الحزينة التي واكبت تلك الأزمة مثل أغنيات (فى يوم من الأيام)، و(وفى يوم.. فى شهر.. فى سنة).

وبالفعل كان هذا هو الحب الكبير فى حياة حليم الذي تحدثت عنه الصحف

والمجلات كثيرًا فى تلك الفترة ونسجت حوله الكثير من التعليقات والقصص، واستطاع حليم أن يداوي جراحه بالاستغراق فى فنه حتى دخل فى قصة حبه الشهيرة مع سعاد حسني.

أغنيات من وحي التجربة

لكن قبل دخوله هذه القصة كان حليم يعلم جيدًا أن هذا الحب الحقيقي الذي تسلل إلى حياته صدفةً ومن دون مقدمات كان وقودًا عاطفيًّا أيضًا للكثير من أغنياته.

فقد ذكر مجدي العمروسي صديق حليم وشريكه فى صوت الفن فى كتابه الشهير «أعز الناس» إن قصة الحب التي عاشها حليم كان لها مردود كبير على عطائه الفني، واستمرت القصة ودخلت مراحل عديدة، ولكن نهايتها كانت مؤلمةً لأقصى درجة.

فبعد أن ذُلِّلت العقبات، وأصبحت قصة الحب قريبةً من النجاح فاجأ المرض الخبيث الحبيبة الغالية، وتعذبت كثيرًا وتعذب حليم لعذابها. ولم يطل الوقت بها كثيرًا فقد اختطفها الموت، وبكاها حليم كما لم يبك حبيب حبيبته، وعبر عنها غنائيًّا فى أغنيات كثيرة شهيرة ومعروفة.

ففى البداية لم تكن قصة الحب هذه نارًا مشتعلةً بين الحبيبين، ولكنها كانت نارًا مباركةً فنيًّا، فأخرجت لنا أجمل الأغنيات وأروعها. فغنى (بتلوموني ليه) و(بحلم بيك) و(نعم؛ يا حبيبي نعم) و(نار) و(أول مرة). كانت كل أغنياته معبرةً عن هذا الإحساس الجميل الذي اقتحم قلبه.

جرح أطول من الأيام

وفى المرحلة الثانية عندما ظهرت العقبات والمشاكل فى طريق قصة الحب هذه؛ بدأ الفتى النحيل يتألم ويسهر ويفكر فى الحلول، وتملكه القلق والتوتر. وكما أبدع فى بداية قصة الحب أبدع أيضًا فى ذروة أزمتها فغنى من أغنياته الشهيرة (ظلموه)، و(القلب الخالي ظلموه)، و(فوق الشوك)، و(كان فيه زمان قلبين).

أما فى المرحلة الثالثة من تلك القصة، فقد كانت أعجب من قصة الحب ذاتها. فبعد أن زالت العقبات وحُلَّت المشاكل، وأصبحت قصة الحب قريبةً من النجاح فاجأ المرض الخبيث الحبيبة، واختطفها الموت سريعًا، وبكى عبد الحليم على حبه الوحيد، وعبر عنه فى أغنياته

أيضًا، فغنى (راح.. راح.. خد قلبي وراح)، وأيضًا أغنية (بعد إيه.. بعد إيه.. أبكي عليه وأشتاق إليه)، وأيضًا أغنية (فى يوم.. فى شهر.. فى سنة.. تهدى الجراح وتنام، وعمر جرحي أنا أطول من الأيام)، و(حرام يا نار) و(فى يوم من الأيام).

إن تلك القصة الأكثر تأثيرًا فى حياة حليم لم تستطع الأيام أن تنسيه إياها، ولم تهدأ جراح حليم بعد رحيل محبوبته، ولم تتمكن الأيام من إذابة أحاسيس الحزن والمرارة من حياته إلا فى لحظة واحدة؛ وهي عندما لفظ أنفاسه الأخيرة فى ٣٠ مارس ١٩٧٧، وقتها هدأت الجراح، ووجد تحت وسادته التي كان يضع رأسه عليها فى اللحظات الأخيرة منديلًا حريمي عليه حرف (D) وقصاصة ورق مكتوب عليها: «أرجوك تغني صافيني مرة» بخط يد حبيبته.

ويُؤَكد العمروسي أن هذا المنديل المكتوب عليه حرف (D) كان عبد الحليم قد وجده على طاولة خارج الكبينة الخاصة بحبيبته، وكانت الكابينة مغلقةً، وقال له الحارس إن أصحابها سافروا، وأخذ عبد الحليم المنديل ووضعه فى جيبه، ولازمه حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

أما الورقة التي طلبت فيها أن يغني (صافيني مرة) فقد كانت قد أرسلتها إليه الحبيبة ليغنيها فى إحدى حفلاته.

نوال الحلوات والمشوار الصعب

نوال التي أحبت حليم من طرف واحد وهي ابنة إمام الجامع فى قرية حليم «الحلوات»، تعتقد أن حليم كان يحبها بسبب عطفه عليها، لكن شقيقة حليم اعترفت لنوال بأنه لم يكن يحب فى تلك الفترة إلا «ديدي»، ولم يستطع أن يحب فتاةً أخرى غيرها.

لقد مشى حليم أصعب مراحل مشوار حياته بعد فقدانه لحبيبته. كان رفيقه فى هذا المشوار المرض الذي أصابه وجعله يتيقن من أنه لا شفاء منه. لذلك كان يضع حقيقة مرضه أمام السيدات التي كانت له علاقة بهن، وأنه لن يكون زوجًا وأبًا ذات يوم، وأن التي تقترن به ستعيش بجواره طبيبةً أو ممرضةً وهو ما لا يرضاه لزوجته.

ورغم ذلك؛ فإن الشيء الذي لا يعرفه الكثيرون أن أطباء عبد الحليم لم يمنعوه من الزواج إطلاقًا، بل صرحوا له به، لكن دون إسراف فى النواحي الجنسية، ولكن مشاعر عبد الحليم وأحاسيسه جعلته يشفق على نفسه وعلى

المرأة التي يتزوجها من هذه التجربة، وفضل أن يهب حياته بكل ما فيها من الألم والأوجاع لفنه.

سلاف فواخرجي

تلك القصة التي استحوذت على الكثير من حياة حليم استحوذت أيضًا على مساحة كبيرة من فن حليم، فقدمها فى فيلم (حكاية حب) مع مريم فخر الدين. كما تم تقديمها فى فيلم (حليم)، وكان أول عمل درامي يتناول ملامح من قصته، وقد جسدت هذا الدور الفنانة السورية سلاف فواخرجي؛ التي التقيتها فى القاهرة لتحدثني عن دورها فى الفيلم، وعن تلك القصة التي قدمتها؛ قالت فواخرجي:

«لقد وقفت أمام كاميرا المخرج شريف عرفة، ووجها لوجه مع النجم الراحل أحمد زكي. لأجسد شخصية حبيبة حليم وتحديدًا شخصية «ديدي»؛ التي لعبت بطولتها الفنانة العظيمة شادية فى فيلم (دليلة)».

خوف ومسؤولية

وكشفت فواخرجي أسرار اختيارها لهذا الفيلم وهذا الدور تحديدًا، وقالت:

«بقدر ما فى قلبي من سعادة وفرح عندما رشحوني للمشاركة فى بطولة الفيلم، لكنه من المؤكد أنني كنت أشعر فى الوقت نفسه وبالقدر نفسه من الخوف والمسؤولية، لأنني كنت أمام عمل كبير، وأعتبر نفسي محظوظةً بالمشاركة فى عمل بهذه الأهمية فى أول تجربة لي مع السينما المصرية».

«كما أن العمل مع النجم الراحل أحمد زكي – الذي حزنت كثيرًا على رحيله، لأنه خسارة فادحة للفن العربي – كان بالنسبة لي شيئًا مهمًّا».

وقالت سلاف:

«السعادة المطلقة أتمناها خصوصًا عندما حقق الفيلم كل مقومات النجاح. كما أن الحب لعبد الحليم وأحمد زكي هو أساس نجاح الفيلم الذي تحقق».

وأكدت فواخرجي أنها اطلعت على السيناريو وقرأته جيدًا، واقتربت كثيرًا من الشخصية التي جسدتها، خصوصًا أن هناك مناقشات كثيرة تمت مع مخرج الفيلم شريف عرفة من أجل تقديم الشخصية بالشكل الصحيح، شخصية الحبيبة المجهولة فى حياة عبد الحليم حافظ، كان لها بالفعل دور مهم فى حياته، وما سمعته أنها أكثر النساء اللاتي أحبهن فى

حياته، وتأثرت هي كثيرًا بأغانيه.

وأضافت الممثلة السورية سلاف:

«أعتقد أنه كان هناك إجماع من كل الأطراف على اختياري، ولكن الذي اتصل بي ورشحني للدور هو الإعلامي عماد الدين أديب، وأعتقد أن المخرج شريف عرفة قد وافق على اختياري للعمل فى الفيلم من خلال هذا الدور الذي أعتبره من أفضل أدواري، وبدايةً طيبةً مع السينما المصرية، لأنها جاءت من خلال فيلم كبير يتناول قصة حياة حليم، وقدمت دورًا مليئًا بالمشاعر والأحاسيس وهو الجانب الذي ترك تأثيرًا مهمًّا على وجدان ومشاعر الجماهير التي شاهدت الفيلم، لأنني كما لاحظت كانت متأثرةً جدًّا بتلك القصة وما تركته من أثر بالغ فى حياته».

قصة ليلى

وقصة العندليب مع ليلى هي قصة قريبة الشبه بحكايته مع ديدي، وإذا كان الكثيرون يعتقدون أنها قصة مختلفة فإنني أرى فى هذه القصة أنها حُكِيت بطريقة أخرى لقصة ديدي.. فماذا تقول الأحداث عن قصة ليلى؟

كان اسمها ليلى، وكان التقاها العندليب لأول مرة أمام محلات (هارودز)؛ التي كان يمتلكها الملياردير المصري محمد الفايد فى لندن وبِيعت لدولة قطر قبل سنوات، وهناك أمام تلك المحلات وقع بصره عليها للمرة الأولى وهي فتاة مصرية، ويقسم حليم أنه لم ير فى حياته عينين بهذا الجمال لدرجة أنه لم يستطع تحديد لونهما. هل هما رماديتان أم زرقاوان؟ فوصفهما بأنهما عينان ملونتان بالبهجة والأسى.

وشعر حليم برغبة ملحة بأن يظل بصره معلقًا بهاتين العينين الساحرتين، ومدت يدها بالسلام، وقالت له أنها جارته فى عمارة العجوزة فى شارع النيل، فرح العندليب فرحةً غامرةً لأن معنى ذلك أنه سيلتقي بها مرةً أخرى فى القاهرة، ويُقَال إن هذه السيدة طُلِّقت من زوجها بسبب غيرته الشديدة عليها وكثرة ترديدها اسم عبد الحليم.

وكاد العندليب يتزوجها بالفعل لولا إصابة هذه السيدة الفاتنة بفيروس قاتل فى المخ. ولاحظ أصدقاء العندليب أنه أصبح يكثر من زيارة أضرحة الأولياء من أجل الدعاء لمحبوبته.

الباب السادس:
حكايات حب أُخرى
فى حياة العندليب

حكايته مع فتيات العجمي والصعيد والسعودية

هل نسمح لأنفسنا بأن نطلق على حليم لقب (الحبِّيب) نسبةً إلى قصص الحب المثيرة التي عاشها أو عاشتها معه الكثيرات من المعجبات؟ أم أن نطلق عليه (كازانوفا) عصره؟ لا شك أن حليم عاش بالفعل قصص حب، ولولا ذلك ما كانت عاشت له أغنية حب صادقة إلى الآن، لأنه عندما كان يشعر بالحب كان يغني بصدق وحب شديدين، وهكذا عاش بيننا قرابة الأربعين عامًا بعد رحيله.

لغة العيون

إن قصة تلك الفتاة التي كانت تعتمد على العيون – التي رويناها آنفًا – وهي قصة (ليلى) – قريبة أيضًا من قصة أخرى يرويها الكاتب الكبير مصطفى أمين؛ إذ يقول فى كتابه «شخصيات لا تُنْسى»:

«ذهبت لأسمعه فى سينما ريفولي (يقصد حليم) وجلست فى الصف الثالث. وتصادف أن جلست بجانبي فتاة رائعة الجمال عيناها واسعتان جذابتان وفمها رقيق وشفتاها غليظتان وقوامها فتان، وكانت تجلس بجوارها بعض قريباتها».

«وبدأ عبد الحليم يغني أغنية (بتلوموني ليه.. لو شفتم عينيه.. حلوين قد ايه)، ولاحظت أن عبد الحليم كان ينظر وهو يغني إلى تلك الفتاة التي تجلس إلى جانبي، ثم لاحظت أن عيني الفتاة تتكلمان وتردان عليه وتناجيانه».

ويستطرد مصطفى أمين قائلًا:

«لم أر فى حياتي عينين بهذا السحر والجمال، وفهمت أن أغنية (بتلوموني ليه) موجهة فى كل كلمة إلى هذه الفتاة التي لم أكن أعرف اسمها، والتي أصبحت حب عبد الحليم الكبير».

وعن هذه الفتاة قال حليم ذات يوم:

«إن وجهها يعطيني الأمان بما فيه من طيبة وحنان، والساعة التي أنفرد فيها بها أشعر أنني أقوى رجل فى الدنيا».

هذه القصة أيضًا هي القصة نفسها لـ«ديدي» ابنة الباشوات التي انكسر قلب حليم عندما رُفِض طلبه بالزواج منها.

فتاة الشرقية

وقصة حب أخرى فى حياة العندليب كانت بطلتها كما أطلق عليها حليم اسم «طاطا»،

واسمها الحقيقي فاطمة واسم الدلع بطة.

كاد حليم يتزوج هذه الفتاة بالفعل وهو فى بداية حياته، وقبل أن يلمع اسمه فى سماء الشهرة والنجومية، وكانت هذه الفتاة من قرية «هربيط» إحدى قرى مركز أبو كبير التابع لمحافظة الشرقية، وكان والدها يعمل مديرًا لتفتيش الري فى دائرة الأمير محمد علي توفيق وهو شقيق الملك فؤاد.

وكان العندليب فى تلك الفترة يعمل مدرسًا للموسيقى، لكن سرعان ما حقق الشهرة والنجومية كمطرب ونجم سينمائي، فتخلى عن حلمه بتكوين أسرة، وبدأت طموحاته تتركز على الفن وتأكيد اسمه ونجوميته.

وكانت «طاطا» تعيش مع خالتها وهي طفلة صغيرة، وهذه الخالة هي التي قامت بخطبتها إلى العندليب. وعندما جاء حليم للقاهرة لم ينس «طاطا»، بل طلب منها الحضور إلى القاهرة لتشاركه فى فيلم (أيامنا الحلوة)، ولكنها اعتذرت ولم تأت لأنها كانت قد تزوجت واستقرت فى حياتها الأسرية. ولكنها انهارت عند رحيله وأُصيبت بصدمة عصبية، ودخلت على إثرها غرفة العناية المركزة.

فتاة العجمي

وعن قصة حليم مع فتاة العجمي الشهيرة؛ فإن تلك الفتاة التي التقاها فى منطقة العجمي بالإسكندرية، حيث كان يمتلك فيلًا فى هذه المنطقة ما زالت موجودةً وملكًا لأسرته حتى اليوم.

ولكن عند آخر حفل ربيع غنى فيه حليم سافر إلى العجمي ليلقي بكل معاناته ومتاعبه فى رمالها ومياه بحرها، ومع دفء العاطفة الجديدة التي ربطته بحبيبته الجديدة (فتاة العجمي) التي كان حبه لها يجعله كالغريق الذي يتعلق بفرع شجرة، ويحاول أن يسبح معها إلى بر الأمان.

وعندما روى العندليب لفتاة العجمي كلمات مرسي جميل عزيز (من غير ليه) سألته الحبيبة: «ليه كل هذا الأسى يا حليم؟» وبكت.

فسألها حليم: «لماذا تبكين؟»

فردت بتأثر شديد: «يا ريتني ما كنت عرفتك ولا قابلتك. أنا خايفة يا حليم من رحلة العلاج هذه المرة».

فأجابها العندليب: «بعد أن أنتهي من حكاية النزيف وأحقن المريء سوف

أعلن قصة حبنا، وبعد ذلك ستصبح كل الأشياء التي كنت تخافين منها وهمًا لأن قصة حبنا سوف ترى النور».

وسافر العندليب لكنه عاد مهزومًا مكسور الوجدان، وعرف بعد رحيل العمر أنه كان يطارد خيط دخان.

فتاة سعودية

أما قصة الحب التي كان حسن إمام عمر شاهدًا عليها فى أيام حليم الأخيرة؛ فهي تلك التي كانت طرفها فتاة سعودية. بدأت تلك القصة تطفو على السطح فى منتصف مارس من العام ١٩٧٧ أي قبل رحيل حليم بخمسة عشر يومًا، وكان حليم فى مستشفى كينجر كوليج فى لندن.

ويروي حسن إمام عمر تلك القصة قائلًا:

«كنت مع حليم لا أفارقه من التاسعة صباحًا وحتى الحادية عشرة مساءً، وخلال وجودي معه فى المستشفى كان حليم فى لحظات صحوه يحدثني عن الماضي والحاضر والمستقبل».

«وذات يوم فاجأني بقوله أنه قرر الزواج وروى لي قصة حبه الجديدة لفتاة سعودية من أسرة متوسطة الحال، وروى لي كيف أحبها من أول لقاء، وأنها تتصل به يوميًّا للاطمئنان عليه.

واستمع حسن إمام عمر إلى جانب من تلك المكالمات فى لحظات الألم المبرحة التي كانت تهاجم حليم، كما لاحظ وجه التغير أحيانًا على حليم، وأكد له حليم أنه سيتزوج تلك الفتاة إذا أنعم الله عليه بالشفاء. بل إنه اتصل بشقيقه محمد شبانة بالقاهرة ليجدد شقته بالزمالك استعدادًا لهذا الحدث السعيد.

وفى آخر حديث تلفوني بين حليم وحبيبته الفتاة السعودية وعدته بالحضور إلى لندن مع والدتها فى عيد الربيع. ولكن قبل أن يحين موعد اللقاء بأيام قليلة كان العندليب قد فارق الحياة.

وهكذا عاش العندليب دوامة الحرمان؛ فهو إن كان عاش تجارب الحب، إلا أنه عانى الحرمان من الزواج من كل واحدة اختارها قلبه، ليعود هذا القلب الذي يسكن هذا الجسد النحيل يرفرف من جديد بقصة حب أخرى بطلتها هذه المرة هي أول حب على أعتاب الشهرة.

الراقصة ميمي فؤاد

ومن قصة حب فى نهاية العمر إلى قصة أخرى جديدة فى بدايته: بداية الشهرة ورحلة الأضواء.

قصة حب العندليب هذه المرة مع الراقصة ميمي فؤاد، وهي من أكثر قصص الحب التي أجمع عليها المؤرخون وشهود عيان. كانت ميمي راقصةً فى إحدى فرق الفنون الشعبية والاستعراضية الشهيرة، وأُعْجِب الموجي بصوتها، ولحن لها بعض الأغاني بالفعل، وكان يتوقع لها مستقبلًا طيبًا. وعندما كانت تجلس مع الموجي بحضور سيد إسماعيل وحليم، كان العندليب ينتهز الفرصة ليتحدث إليها عن أحلامه فى الشهرة والمجد.

وبدأت تهتم به بعد أن تأكدت أنه يحبها بعنف. وعندما لمع اسمها وبدأت تُطْلَب فى حفلات كانت تشترط على المتعهدين أن يغني العندليب معها. وبما أنه كان لا يزال مطربًا ناشئًا اشترطوا عليه غناء أغنيات عبد الوهاب، وعندما صفق له الجمهور قال العندليب: هذا التصفيق لعبد الوهاب وليس لي.

وبدأت المجلات تغمز عن هذه العلاقة بين الراقصة المشهورة والمطرب المغمور عبد الحليم شبانة ونشرت أنهما سيتزوجان، وقابلت ميمي فؤاد الخبر بعدم اهتمام فلم تنف أو تؤكد. وارتفع نجمها أكثر فأكثر، وكذلك نجح حليم ووصلت شهرته إلى القاهرة، وكانا يتبادلان الرسائل، وكانت ميمي تؤكد له فى رسائلها من بيروت أنها على العهد وأن الزواج بات قريبًا.

ومن شدة حبها لحليم كانت ميمي تقص صوره وأخباره من الصحف والمجلات لتعلقها على جدران شقتها. والتقط صحافى لبناني صورةً لجدران الشقة ونشرها فى إحدى المجلات الفنية اللبنانية، فغضبت بشدة وطلبت من المجلة الاعتذار. لكن بدلًا من الاعتذار قرأت فى عدد جديد من المجلة نفسها حوارًا مع العندليب ينفى فيه أي معرفة له باسم ميمي فؤاد، وبالتالي فإنه هدم معبد الحب على الطرفين.

وردت ميمي فؤاد بتاريخ ٩ يونيو ١٩٥٨ بعد مهاترات وهجوم متبادل فى الصحف وقالت:

«إن علاقتي بعبد الحليم حافظ لم تكن أكثر من علاقة صداقة بريئة وزمالة من أيام الفقر. كنا أنا وهو نسعى للرقص والغناء. كنت أتمنى أن أصبح راقصةً

مثل تحية كاريوكا، وكان هو يتمنى أن يصبح مطربًا مثل عبد الوهاب».

«أنا يتيمة وهو يتيم وجمع الحرمان بيننا على صداقة وأخوة وزمالة. لم يكن لدي الوقت الذي أفكر فيه بالحب، كنت أفكر فى مستقبلي وفى لقمة العيش، وصديقي عبد الحليم يفكر هو الآخر فى مستقبله وفى لقمة العيش».

وأضافت ميمي فؤاد:

«أنا لم أقل لأي صحافى أنني أحببت عبد الحليم حافظ لسبب بسيط؛ وهو أنني لم أحبه فعلًا. عبد الحليم ليس فارس أحلامي، فلماذا يهاجمني فى كل مجلة ويقول أنني أريد أن أشتهر على حسابه؟»

ويزداد الرد سخونةً عندما تقول:

«قابلته أكثر من مرة وطلبت منه ألا يتعرض لي من قريب أو بعيد، وقلت له أقسم برحمة أمك وبرحمة أبيك ألا تهاجمني، فأقسم ولم يحترم قسمه، وهاجمني بعد ذلك على صفحات المجلات».

ورغم هذا الرد الساخن فإن كثيرين أكدوا بالفعل أن ثمة علاقة حب نشأت بينهما، ولكن يبقى سر هذه النهاية غير المتوقعة مدفونًا فى قلبي الطرفين حليم وميمي.

وتأكيدًا على أنه كان هناك شيء ما بين حليم وميمي فؤاد – كما يقول حسن إمام عمر – أنه كان على علم بتلك العلاقة وأن هناك صورًا كانت تجمع حليم وميمي فؤاد فى أوقات الحب. ولأن ميمي كان قد تقدم لها ثري سوري للزواج منها، نصحها حسن إمام عمر أن تترك قصتها مع حليم وأن تتزوج من يتقدم لها.

مها.. فتاة الصعيد

أطلق حليم على حبيبته اسم مها كاسم حركي بدلًا من اسمها الحقيقي، لأن قصة حبه لها لم تكتمل، ولأنها من عائلة صعيدية وتعيش فى الظل بين أحد مراكز محافظة المنيا الآن.

بدأت القصة بسهرة قضاها حليم فى بيت رجل صعيدي من الأعيان، ودُعِي حليم فى هذه السهرة للاتفاق على مشروع تجاري يخص العمارة التي كان ينوي بناءها فى شارع جامعة الدول العربية ومات قبل أن يكملها.

ذهب العندليب ودخل الفيلَّا التي كانت تقع فى أطراف حي مصر الجديدة، فإذا به يسمع صوتًا يشدو بأغنية أسمهان (ليالي الأنس فى فيينا)، وظل واقفًا ومتسمرًا خلف الباب الذي ينبعث منه الصوت.

وعندما انتهت «مها» من وصلتها الغنائية صفق لها بحرارة شديدة وتعرف عليها، ووصفها فى مذكراته الخاصة بأنها شابة جميلة وجذابة وحضورها مُؤَكد، ولو لم تنطق بكلمة، بسيطة ورقيقة وكأنها غزال شارد، تملك شخصية قويةً وصوتًا أقوى.

ويقول مفيد فوزي فى رصده لتلك القصة أن العندليب نسي المشروع التجاري الذي جاء من أجله وفتح حوارًا مع مها أخذ معظم وقت السهرة. وعرف العندليب بأنها تحلم بالغناء وتريد أن تتعلم الموسيقى، فقال لها: «اعتمدي على الله وعلي فى هذا الموضوع».

فأجابته: «يجب ألا نستمر فى التحدث معًا طوال الفترة، فقد بدأت العيون تتربص بنا».

واستأذنت وخرجت مع مربيتها السمراء، فى حين ظل العندليب هائمًا حائرًا شاردًا يفكر كيف يكون قريبًا من تلك الفتاة التي بدأ قلبه يخفق لها.

وتحدث إلى أحد أقاربها مؤكدًا له أنه مستعد أن يقدمها للأستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب أو الست أم كلثوم، ولكنه رد عليه قائلًا: «نشكرك يا أستاذ عبد الحليم على اهتمامك، لكن موضوع غناء مها فى حفلات عامة مرفوض تمامًا عندنا، ثم إنها بعد عدة أيام سوف تتزوج من ابن عمتها وهو قاض شاب، ونحن هنا الآن فى القاهرة من أجل شراء متطلبات الزواج».

ظلموا الحب والفن

لم ينم العندليب فى تلك الليلة. لقد أغلق الرجل بهذه الكلمات التي نزلت عليه كالصاعقة كل أبواب الأمل فى أن يستمر حوار القلوب بينه وبين هذه الفتاة الرقيقة التي تسللت إلى قلبه عندما استمع إلى غنائها، قبل أن يرى حتى ملامح وجهها، وظل العندليب يتتبع أخبار مها حتى بعد أن تزوجت وأنجبت، ولكن دون أن يراها سوى فى تلك المقابلة الوحيدة.

حاول حليم إقناع أهل مها بإعطاء الفرصة لها، ولكنهم رفضوا بإصرار وأبلغوه أنها سافرت إلى الصعيد تمهيدًا لحفل الزفاف. وبلغ الأمر ذروته عندما اتصل حليم بالقاضي الشاب وعرض عليه الغناء فى الحفل فقال له: «يا أستاذ عبد الحليم أنت مهرك غالي».

فرد حليم: «أنا لن أتقاضى أجرًا عن هذا الحفل.. أنا فقط أرحب بالمشاركة، وليس مهمًّا أن تكون هناك فرقة موسيقية».

ولكنهم شكروه واعتذروا له بلطف. وصمت حليم وآثر أن يغلق أبواب الموضوع

تمامًا بعد رفض عرضه للغناء بأسلوب مهذب.

وكتب حليم فى مذكراته الخاصة:

«كان من الممكن أن تكون مطربةً كبيرةً، ولكن ظروف الإنسان كثيرًا ما تلعب دورًا فى حياته، فى صعوده أو هبوطه. إن وراء الأبواب فى بلدي مواهب كثيرة فى الغناء والكتابة والرسم ولكن النظرة إلى الفن لا تزال قاصرةً. إنني أذكر هنا عبارة توفيق الحكيم: «إن باب الفن واسع ولكن عقول بعض الناس هي الضيقة»».

ويتساءل حليم: «هل صحيح أننا أفضل كتاب ورسامين ومغنين؟ فى الحقيقة لا. هناك من هو أفضل منا، ولكن ... »

وبعد نهاية القصة غابت مها عن عيني حليم إلى الأبد باستثناء مرة واحدة التقيا فيها صدفةً عندما كانت مها مع زوجها فى مطار باريس.

يقول حليم: «كنت متوجهًا إلى بوابة تقودني إلى طائرة مصر، وهما فى الطريق إلى بوابة تنقلهم إلى طائرة أميركا. ومن خلف المعابر الزجاجية تبادلنا التحية بالتلويح بالأيدي، ولا أعرف شيئًا عنهما بعد ذلك».

إنها قصة حب أخرى راقية من قصص العندليب، ولكنها لم تستمر سوى ساعات قليلة تركت وراءها ذكريات كثيرة.

الباب السابع:
معجبات،
وقصص حب أخرى

أحب بعدد أصابع يديه، وكان صادقاً بعدد شعر رأسه

ما زال العندليب يغرد ويعزف على أوتار قلبه ومشاعره المعذبة. إنه أكبر فنان وقع فى قصص الحب والغرام، والمتتبع لمسيرته فى هذا الخط العاطفى يؤكد أن حليم لم يتوقف قلبه قط عن النبض بقصص الحب والغرام الملتهبة، وما بين قصص استمرت لساعات وأيام قليلة إلى أخرى كانت لها جروح غائرة فى قلبه ما زلنا نبحث وننقب عنها، ونكشفها من خلال هذه الأسرار.

لكن بدايةً؛ دعونا نتفق على أن حليم كان ماهرًا فى أن يشعر كل فتاة وكل امرأة أراد أن يقترن بها ومعها بقصة حب أنها وحدها تجلس متربعةً داخل قلبه، وهذا ما يؤكده مفيد فوزي بقوله: «إن حليم كان ملولًا وكان تواقًا للتغيير، وكانت كلمة واحدة كافيةً لإنهاء علاقة حب. وكان حليم يبدأ علاقته الغرامية حادًّا وينهيها فاترًا جدًّا، وتموت العلاقة بلا موعد».

الحب والصدق

وإذا كان العندليب قد أحب – ربما – بعدد أصابع يديه إلا أنه كان صادقًا بعدد شعر رأسه، وفى رأينا أن هذا هو الفنان الذي لا يستطيع أن يفرز فنه من دون أن يستنشق رحيق الحب. إذ كيف نصدق أنه يغني بكل هذا الصدق عن الحب من دون أن يكون محبًّا وفى قلبه حب ملتهب؟

كان من الصعب على حليم أن يغني للحب وهو بعيد عنه، لذا كان يشغل نفسه دائمًا بقصص حب حتى لو كان يعلم تمامًا أن نهاية هذه القصة أو تلك هي الفشل، لكن كان حبه بشرط ألا تذبل وردة الحب فى حياته أبدًا سواء تغيرت الورود أم بقيت وردة واحدة ولكن لديها القدرة على تجديد أوراقها وبث عطرها صباحًا ومساءً.

لقد صادق حليم العديد من النساء، وأحب العديد منهن بالطبع، ولم يكن يكذب فى حبه بالتأكيد، بل كان صادقًا، وكان يعيش فى حالة عاطفية دائمة، وعندما سُئِل العندليب: «هل تعرضت للغدر فى الحب؟»

أجاب بقوله: «نعم؛ عرفت كل هذا، ولكن عرفت أيضًا النقاء والاحترام وأحلى المشاعر».

قصة حب فريدة

وكما يروي الإعلامي وجدي الحكيم الذي يؤكد أن فى حياة حليم قصة حب فريدة إذا ما قارناها بكل القصص التي مر بها، وهي قصته مع السيدة المتزوجة التي كانت تعيش فى الإسكندرية. وهذه القصة بالذات كانت من جزئيات حياة عبد الحليم التي لا نعلم عنها الكثير.

يقول الحكيم: «كل ما أذكره أنها كانت متزوجةً من شخصية مهمة فى الخارجية، والتقى بها حليم فى مصعد العمارة؛ حيث كانت تسكن فى الطابق التالي لمنزله، فصعد معها وأوصلها حتى باب شقتها، وطلب منها أن يراها فى اليوم التالي، فأخبرته أنها متزوجة».

«ولكن العلاقة بينهما استمرت، وكنا أحيانا نسهر فى منزله، فيأتيه تلفون ترنك من إسكندرية، فيضع السماعة وينظر إلى سائقه عبد الفتاح ويقول له: روح هات الجماعة من إسكندرية، ويكون هذا الكلام فى الواحدة بعد منتصف الليل. أي أن السائق سيستغرق أربع ساعات فى الطريق ذهابًا وإيابا ليعود فى الخامسة صباحًا. فكنا نغادر منزل حليم فى الساعة الثانية».

«وفى اليوم التالي كنا نجده نائمًا طوال النهار، وطبعًا لا نسأله عما حدث بعد خروجنا، لأننا نعلم مدى حرصه على الاحتفاظ بتلك القصة بعيدًا عن أعين الناس حتى إذا كانوا من أقرب الأصدقاء إلى قلبه».

نوال الرملي

ومن عش إلى آخر يغرد العندليب ويرمي شباكه على فتيات أُعْجِبن به أو أنه أُعْجِب بهن، ومن دولة إلى أخرى يطير العندليب. وقصة الحب هذه عاشها حليم مع فتاة لبنانية اسمها نوال الرملي، وهي شقيقة المذيعة التلفزيونية هيام الرملي.

أحبها عبد الحليم حبًّا صادقًا، وكان يحرص على لقائها أثناء زيارته المتعددة إلى لبنان. ولكن لم يتم زواجهما بسبب تركيز عبد الحليم الشديد على عمله وفنه؛ حيث كان يعطي لهما كل وقته ومجهوده، ويضعهما فى المقام الأول حتى قبل حياته الشخصية.

نوال الحلوات

ونوال هذه غير نوال ابنة قرية الحلوات التي كان والدها الشيخ نصر الدين إمام جامع قرية الحلوات، وماتت منتحرةً حزنًا على رحيل حليم فى اليوم التالي من تشييع جنازته.

كانت نوال ترتبط بحليم بقصة حب مجنونة، ولكنها من طرف واحد، وهي بالطبع من طرف الفتاة. بدأت علاقتها بحليم بوصية من والدها الذي كان يعتبر حليم مثل ابنه. قال لها وهو على فراش الموت: «عندما يضيق بك الحال اذهبي إلى عبد الحليم، فسوف يساعدك».

وذهبت إليه، وكان حليم خير من تحمل تلك الأمانة، وتعهد بأن يتكفل بنفقة المصروفات الخاصة بها أثناء دراستها بكلية الطب. ولكن نوال وقعت فى غرام العندليب فى علاقة حب قوية لم تكشف عنها إلا بهذه الطريقة المأساوية والمدوية وعن طريق الانتحار.

فما أعنف هذا الحب، وما أفدح الثمن التي دفعته تلك الفتاة المسكينة التي راحت ضحية قصة حب صورها لها خيالها المريض بأن حليم يبادلها الشعور نفسه.

شقيقة صباح

وما بين نوال المصرية ونوال اللبنانية كان حليم على موعد مع قصة غرام أخرى؛ بطلتها هذه المرة شقيقة المطربة صباح، وترتبط أغنيته (صدفة) بهذه التجربة العابرة.

يقول الكاتب منير عامر فى كتابه أنه عندما سُئِل حليم عن حقيقة تلك القصة رد بقوله: «هل يوجد رجل عاقل يمكن أن يضع نفسه بين فكي أنوثة واحدة من أسرة المطربة صباح؟»

ورد منير: «ومن قال أن الحب عاقل؟»

فأردف حليم: «الحب مجنون صحيح، ولكن كل الذي حدث بيننا لمحة إعجاب بواحدة تنتمي إلى أسرة فنية، وكنت أريد أن أقدمها للسينما، واتصلت فعلًا بالمخرج عز الدين ذو الفقار؛ الذي أبدى استعداده لعمل تجربة تصوير لها، وأذكر أنها حضرت معي مونتاج أغنية (صدفة)، (يوم ما قابلتك مرة صدفة)، (يا للي جمالك أجمل صدفة)».

وعندما وصف حليم تلك الفتاة قال عنها: «إنها من النوع الذي يعجبك، تبدو كإسبانية مدللة تجيد الرقص. والذي عاش مثلي يعلم أنه قد يوجد لحظة على القمة ولحظة أخرى على سرير المرض، ويصبح التعلق بالحب هو الدليل المبهج الوحيد الذي يقول لي أن الحياة ما زالت مستمرةً».

«صدقوني عندما أقول إن المرأة تبدو لك رومانسيةً وخياليةً وإنها تحب الحنان، ولكن هناك رادارًا حساسًّا فى أعماقها يحسبها بكل التفاصيل. فإذا ما تأكدت المرأة بأنك لست لها، أو أنك متردد فى الارتباط بها تبحث عن طريقة تخربشك بها، وتترك آثار أظافرها على وجهك كعلامة واضحة على الانتقام».

إنها سعاد شقيقة صباح؛ وما زال حليم يروي أسرار وتفاصيل القصة بنفسه ويقول:

«البداية كانت جميلةً وكانت رحلةً من رحلات الحنان التي تفاجئك، فتشكر السماء أنها أهدتك تلك الهدية، وقد قضت معي ثلاثة أيام على أساس أن يتعرف كل منا على الآخر، وحضرت معي مونتاج أغنية (صدفة) كما ذكرت».

«وقد ذُهِل من جمالها نصري عبد النور مهندس التسجيل، ولم تطرأ فكرة الزواج على رأسي، لكنها جاءت على لسانها، فقلت لها: إن الزواج ليس كالحب. فالحب يهاجم الإنسان، وقد لا أعجبك كزوج، وبعدها بدأت هي تتعلق بمذيع مشهور، وكان عمرها فى ذلك الوقت لا يتعدى ١٨ عامًا».

حبيبة متنكرة

أما هذه القصة فهي من القصص الغريبة حقًّا إذ أنها بدأت فى أحد البلاد العربية عندما رآها حليم ودعاها لزيارة مصر، وحضرت بالفعل، لكنها كانت متنكرةً وباسم غير اسمها، وأمضت عدة أيام فى ضيافة العندليب، وكان حليم يشتري لها هدايا كانت عبارةً عن أحزمة من الذهب الخالص، وبعد رحيلها عن مصر عائدةً إلى بلدها ظل حليم يذكرها عند أصدقائه بشيء من الشوق واللهفة، وكانت هذه الفتاة سيدةً معروفةً جدًّا فى بلدها.

وحليم أحب أيضًا فى رحلة مرضية إلى أمريكا فتاةً تُسَمى «دوفى»، فقد ذكر فى مذكراته الشخصية أن:

«أغرب ما فى الدنيا هو أن تحس بالحب من جديد، كأن أحدًا يمسح من داخلك كل الآمال السابقة، ويفتح أمام عيونك نورًا جديدًا، وتكاد ترقص من الفرحة، ولكن قلبك لا يترك لك الفرصة.. إنه يرقص بدلًا منك».

«وتقول لنفسك ما الذي حدث لي؟ هل أنا طفل صغير حتى يحدث لي ذلك؟ ولكني أعرف أني تعديت الأربعين، وأنني الآن أعيش فى الوهم الجميل. إن «دوفى» ليست امرأةً عاديةً. إن جمالها ليس صارخًا، ولكنك تحس أنها أميركية مختلفة».

فتاة المبتديان

ومن ملف المعجبات بحليم هذه القصة الطريفة التي نطلق عليها فتاة المبتديان. حيث كان حليم أثناء الدراسة يخشى الوقوع فى الحب ظنًّا منه أن الحب ليس وقته الآن أو أنه شيء قد يعوق تفكيره وقدرته على الاستذكار والقدرة

على النجاح، لذا كان يريد أن يكون متفرغًا للدراسة.

وكان معهد الموسيقى المسرحية يحتل قصرًا يقع بجوار مؤسسة دار الهلال فى المكان الذي تشغله الآن مدرسة المبتديان الثانوية التجريبية، وكان حليم يتردد على دار الهلال لقضاء بعض الوقت مع عدد من كتابها ومحرريها لدرجة أنه كان يكتب بعض المقالات فى مجلة الكواكب، ولكن جاء ذات يوم إلى دار الهلال فزعًا قائلًا: «هل تذكرون حكاية مجنون ليلى؟»

وأضاف: «لقد قابلت واحدةً مجنونةً مثل مجنون ليلى».

وبدأ يسرد التفاصيل وهو أنه كان فى محطة أتوبيس وفى طريقه من معهد الموسيقى المسرحية إلى معهد الموسيقى العربية بجوار الإسعاف فى شارع رمسيس، واقتربت منه فتاة يبدو أنها تلميذة فى إحدى المدارس الثانوية، وأمسكت بيده وصافحته بحرارة، ثم ضغطت على يده، وقدمت له أوتوغرافًا؛ ليكتب عليه كلمةً على سبيل الإهداء ويوقع بإمضائه.

ولم يكن هو قد اعتاد على هذا الأمر كثيرًا، فأمسك به وراح يقلبه، فعادت تتعجله فى كتابة إهدائه، ولكنه طلب منها كتابة ما تريد ثم يقوم هو بالتوقيع على كلامها.

كتبت الفتاة عبارةً تقليديةً عن التمنيات والأماني، ثم فُوجِئَ بها تخطف الأوتوغراف وتنصرف بسرعة. ولم يشغل نفسه بهذا التصرف الغريب، ولكن فى اليوم التالي وفى الموعد نفسه فُوجِئَ بالفتاة ومعها الأوتوغراف نفسه وطلبت منه تكرار الأمر نفسه.

وبالفعل أمسك بالقلم ليوقع على عبارة جديدة كتبتها هي بخط يدها، ولكنه لاحظ هذه المرة أنه هو الوحيد الذي يوقع على هذا الأوتوغراف.

سألها: لماذا لا توجد توقيعات لغيره من المشاهير؟

قالت: لا يهمني أحد سواك، ولا أريد أن أعرف أحدًا غيرك. أنا أريدك أنت فقط.

وأصبح العندليب على موعد غرامي يومي مع هذه الفتاة؛ ليوقع على صفحة جديدة كل يوم فى الأوتوغراف. والطريف أنه عندما كانت تتأخر الفتاة عن موعدها كان العندليب ينتظرها إلى أن قال لها ذات يوم: هو أنا لوحدي حامضي كل الصفحات هاتي أمضيه كله وخلاص!

فقالت الفتاة: أيوه أنا أحضرته مخصوص علشانك. وفى أثناء كلامها جاء الأتوبيس، فقفز العندليب بداخله فشاطت الفتاة قائلةً: يعني مش عايز تشوفني. أصلك خاين.

وراحت تودعه بمرارة بعد أن استشعرت أن هذا اللقاء هو الأخير.

حليمة

فى أحد الأيام التي كان حليم قد حقق فيها الشهرة وكان يذهب بين الحين والآخر للسهر فى الفنادق الكبرى أو تسجيل أغانيه فى أستوديوهات الإذاعة، وجد ذات يوم على باب الإذاعة طالبةً من معهد الموسيقى قدمت نفسها إليه باسم حليمة، فقال لها: «أي خدمة؟»

غضبت من الرد، فقال حليم بعدم اهتمام: «أفندم».

واندفعت الفتاة فى موجة من الهجوم القاسي على حليم قائلةً: «أنا جئت مخصوص علشان أقولك ازاي تطلع فى التلفزيون يا أستاذ وتقول إنك بتفضل العلاج فى مستشفيات لندن، وازاي تقول إنك بتشتري هدومك جاهزةً من الخارج ومش ممكن تفصلها فى مصر. أرجوك راجع نفسك علشان إحنا بنحبك وبنحترم فنك، وكمان بلاش السهر مع الأمراء. هو إنت محتاج يا أستاذ؟»

وإلى هنا لم يستمر العندليب فى هدوئه بل استشاط غضبًا وقال: «مرفوض التدخل فى حياتي الشخصية يا مدموزيل!»

قالت حليمة: «اسهر براحتك فى بيتك. مش فى كازينو».

قال العندليب: «إنت حد مسلطك علي يا آنسة؟»

قالت: «أبدًا؛ ابن خالي بيشتغل فى كازينو الشيراتون وشافك هناك. والكل بيجاملك وانت ضعيف قدام المجاملة. اوعى تفتكر أني من أنصار فريد الأطرش وجاية أهاجمك لحسابه. أنا طالبة فى معهد الموسيقى وبموت فى أغانيك، وأيضًا لا أريد أن أكون مطربةً. يعني ليس هناك مصلحة بيني وبينك».

هنا شعر حليم بالاحترام تجاه تلك الفتاة الشابة ودعاها لدخول الإذاعة معه، وفى ركن هادئ استكمل الحوار بهدوء أكثر، وتجرأت حليمة أكثر لتقول للعندليب: «إن حياتك الشخصية لما تبقى حدوته فى فم الناس ما تبقاش لطيفة».

وأضافت حليمة: «يمكن دي أول وآخر مرة نشوف فيها بعض. أرجوك تفكر فى كلامي. أنا بدافع عنك قدام عيلتي. لقد قال لي أحد أفراد أسرتي: صاحبك – عبد الحليم – أصبح صديق الكبار ونسي الناس اللي جاء منها».

قال عبد الحليم بعد أن دمعت عيناه: «إن هذه أول مرة أراك فيها، ولكنها لن تكون الأخيرة».

أقوى حب بعد ديدي

وطلب عنوانها وذهب إلى أسرتها فيما بعد مستقلاً سيارة أجرة، وتعرف على أسرتها المتواضعة، وتكررت زياراته لهم. وبدأت حليمة تدق الأبواب المغلقة فى قلب حليم، واعتبر هو أن هذه أقوى قصة حب فى حياته بعد فراق حبيبته ديدي التي سرقها منه الموت.

وغنى حليم لحليمة (أهواك) لأول مرة بالتوزيع الجديد فى منزل أسرتها، وكان يقول إن حليمة فيها الكثير من ديدي. العينان الواسعتان، الصراحة، الكبرياء، حتى طول القامة. وتعلق بها العندليب، وحينما كانت تغيب عنه وتمضي أيامًا لا يسمع صوتها كان يشعر بالاختناق.

وكما بدأت قصتها فجأةً وبلا مقدمات كانت النهاية فجأةً أيضًا حينما صحا حليم على خبر أن ابن عمها قد سبقه فى الاقتران بها. كان أكثر جرأةً من حليم وأكثر حسمًا عندما طلب حليمة للزواج، ووافقت الأسرة باعتبار أنه لا يخطر ببال أحد منهم أن العندليب قد يكون فكر يومًا فى الزواج من ابنتهم ابنة الطبقة الفقيرة الكادحة. ولكنه فى الحقيقة كان يتمنى ذلك.

الباب الثامن:
علية شبانة: شقيقة العندليب لعبت فى حياته دور الأم!

هل أحبت صوفيا لورين حليم فى باريس؟

قبل رحيلها، جمعني أكثر من حوار بالحاجة علية شبانة فى ذكرى العندليب، وتوالت اللقاءات. وفى هذه اللقاءات، كانت شقيقة حليم تقول:

«شقيقي فنان له تاريخ وله بصمة ما زالت تظهر بوضوح بعد رحيله بأكثر من ٢٥ عامًا – عندما تحدثت – وأنا أتساءل ماذا فعلت الدولة أو وزارة الثقافة لعبد الحليم حافظ منذ وفاته وحتى الآن؟ لماذا لم تقم وزارة الثقافة تمثالاً لعبد الحليم حافظ فى دار الأوبرا أسوةً بتمثالي أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب؟ فهل عبد الحليم أقل مكانةً منهما؟! وهل عبد الحليم لم يكن هرمًا فنيًّا مثلهما؟!»

«وعلى مدى أكثر من ٢٥ عامًا كنا نلتقي القائمين على محافظتي القاهرة والجيزة من أجل أن يتم إطلاق اسم حليم على أحد الشوارع بإحدى المحافظتين، ولكن من دون جدوى. واقترحنا أن يجري تغيير اسم الشارع الذي كان يقطنه، وهو شارع «قراقوش»، إلى شارع حليم، ولكن أحدًا لم يستجب لندائنا. فهل عبد الحليم أقل من أي فنان أُطلِق اسمه على أحد الشوارع بالقاهرة الكبرى؟!»

وأكدت الحاجة علية شبانة – التي رحلت منذ سنوات – أنها لن توافق على إقامة متحف لحليم إلا بعد تكريمه التكريم اللائق به أولاً، وأن يُقَام له تمثال بالأوبرا حتى يكون بجوار تمثالي عبد الوهاب وأم كلثوم. ثم لا بد من إطلاق اسم حليم على شارع قراقوش أولاً، وبعد ذلك يُقَام المتحف.

وأضافت:

«وإذا كان على المتحف، فنحن أسرة حليم على استعداد لتقديم كل مقتنياته التي نمتلكها من أجله؛ سواء كانت جوائز ثمينة أو نياشين أو بدلات أو أي شيء خاص به. فلك أن تتخيل أن أكثر من مائة ألف شخص يأتون لزيارتنا من مصر وكل الدول العربية لمشاهدة الجناح الخاص بعبد الحليم حافظ الذي نعيش بجانبه.

صوت لم يمت

وقالت علية شبانة قبل رحيلها أيضًا:

«إن عبد الحليم مات من أجل فنه، وضحى لأجل فنه، فهو فنان عظيم وهرم فني كبير مثل أم كلثوم وفريد وعبد الوهاب، وليس هذا بشهادتنا بالطبع، ولكن بشهادة فنه وجمهوره ومستوى النقد والجوائز التي حصل عليها، وحجم نجاحاته إلى ما بعد رحيله طيلة كل السنوات الماضية. والنجاح الذي ما زال يحققه حتى اليوم ولم يحققه مطرب آخر غيره».

«ونحن نملك بيتًا مفتوحًا لكل محبي وجمهور عبد الحليم، ولن نفرط فى شيء من مقتنياته، وهذا اتفق عليه كل ورثة حليم، لأن حليم فنان مصري بمعنى الكلمة، وما زال فنه يسطع فى مصر والعالم كله، ولا تتخيل مدى حب الجمهور له حتى اليوم. ولو كنت تريد أن تعرف قيمة عبد الحليم ومحبيه ورصيده عند الناس؛ اذهب إلى المقبرة الخاصة به فى شارع الرحمة بالبساتين لتجد الآلاف من الناس تترحم عليه، وتقرأ على روحه الفاتحة، وكذلك الآلاف الذين يأتون أيضًا إلى البيت الذي نسكنه. فهل نحن أجبرنا الناس على هذا الحب؟ هذا الحب من عند الله ومن إخلاصه وحبه وتفانيه لفنه».

وقالت: «وإذا كنت أنادي بوجود شارع باسمه أو بتمثال له فى الأوبرا فهذا ليس مطلبي باعتباري شقيقته، ولكنه مطلب كل جمهور عبد الحليم. وبيت حليم منذ أن تركه ورحل عنه بقي مثلما تركه، وكأنه يعيش فيه حتى أمس. كل شيء مرتب جيدًا واهتمامنا به وكأنه موجود بيننا، وكأنه لم يمت ولم يغب عنا لحظةً واحدةً وحتى الآن ما زال كذلك».

ألا يستحق التكريم؟

وتردف علية شبانة:

«حليم لم يمت بالنسبة إلى أسرته، وهو فنان يستحق كل هذا الحب من جمهوره، فحتى الآن وبعد أكثر من ربع قرن على رحيله ما زال على القمة، وهذا يؤكد صدقه وجدارته وثقته فى جمهوره واختياره الجيد للأعمال التي قدمها، وما زالت تعيش فى وجداننا عشرات السنين».

«ويكفى أن حب عبد الحليم حتى اليوم هو أكبر تكريم لفنه وله. وهذا التكريم أرفع من تكريم الأوسمة والجوائز والأفلام والتماثيل والشوارع، فهو فنان من زمن الفن الجميل ومن العباقرة والعمالقة الذين قلما يجود الزمن بمثلهم».

«وهو فنان صنع مجده وتاريخه بعرقه وسهره ودموعه، ولم يصعد على أكتاف أحد، بل كان يحفر فى الصخر سنوات طويلة من أجل ما وصل إليه. هو فنان أحب شعبه فأحبه هذا الشعب، وهو فنان عشق العلم وأسس جامعة الزقازيق».

«ألا يستحق أن يُكَرم بعد كل هذا؟ ألا يستحق حليم أن يُقَام له تمثال مثل الموسيقار عبد الوهاب وكوكب الشرق أم كلثوم؟ ألا يستحق يا محافظة القاهرة أن يُقَام لعبد

الحليم متحف خاص به مثل متحف أم كلثوم؟»

علية فى مذكرات حليم

وإذا كان عبد الحليم استعار اسم أخته علية ليطلقه على اسم أول حبيبة أحبها فى حياته، فإن مذكراته لا تخلو من علية الأخت، بل إنها تتردد كثيرًا بين السطور. يكتب مثلًا:

«حدث لي النزيف فى المغرب. حملتني الطائرة من المغرب إلى باريس. علاج ستين يومًا فى باريس. أستكمل العلاج فى لندن. قرأت يومها خطابًا من أختي علية أحفظ حروفه. يقول الخطاب: ابني العزيز حليم. حلمت أنك فى حفلة؛ الكل فيها بملابسهم وأنت ترتدي جلبابًا. هل أنت مريض؟ كان مكان الحفلة العجمي وكان البحر هائجًا. هل صحتك بخير؟ طمني عليك بمنتهى السرعة. أختك علية».

ويكتب حليم عن شقيقته علية (مثلًا):

«استيقظت من تخدير البنج. دخل الأطباء. علية أختي معي. تحب أناديها يا ماما. أحبها كثيرًا. وآثار الدموع فى عينيها قالت لي قبل عملية حقن الشعيرات: يا حليم لازم يشيل المرض إنسان غيرك. اسأل الأطباء. أنا متنازلة عن أي جزء من جسمي يشفيك إلى الأبد».

علية الأخت تلعب دور الأم فى حياة عبد الحليم وكل الذين يقتربون منه يعرفون مكانتها فى حياته، لذلك فهي تبدو فى مذكراته صاحبة الدروس الأولى.

يكتب مثلًا: «فى ليلة رأيت أمًّا تهدد ابنها بأن تضعه فى الملجأ. وقررت أن أخرج من المنزل، وأن أجري إلى أصدقائي فى الملجأ. لكن علية رفضت أن أخرج لأنني سآخذ حمامًا وأنا فى نظرها ضعيف وقد يلفحني البرد».

هكذا تتردد أخته علية طوال المذكرات وعرضها، وهي تقوم معه بدور الأم والأستاذ الذي تتلمذ على يديه وحصل منه على الدروس الأولى فى الحياة؛ إذ ظلت معه هذه الشقيقة طويلًا.

صوفيا لورين وحليم. الكل يخسر على طريقته الخاصة

قال حليم عن صوفيا لورين أنها امرأة فوق العادة. التقاها حليم فى باريس فى الوقت الذي كانت فيه نجمةً عالميةً تتقاضى أكثر من نصف مليون دولار عن دورها فى الفيلم الواحد فى ذلك الوقت، وكانت فى تلك الفترة متزوجةً من المليونير العجوز كارلوبونتي، وكانت تشعر بالملل من حياتها معه وتريد الانفصال.

جرى اللقاء بين العندليب وصوفيا لورين فى باريس فى الوقت الذي كانت فيه الدنيا أظلمت فى وجه حليم، فهو على التو كان لدى الأطباء الفرنسيين الذين أكدوا له أن كبده لا يعمل إلا بنسبة ضئيلة لا تتعدى الـ١٠٪ من كفاءته المعتادة.

وأمضى حليم وقتًا طويلًا مع النجمة العالمية، وشعر حليم بارتياح شديد من تلك اللقاءات لدرجة أنه وصف صوفيا بأنها فتاة من الإسكندرية؛ تجيد اللغات الإنجليزية والإيطالية والفرنسية. واقترب كثيرًا منها لدرجة أن كلا منهما باح بالكثير من أسراره للآخر.

ودار بينهما حوار مطول كان ملخصه أن صوفيا قالت لحليم أن حياتها كلها خسارة فى خسارة، وسألته نفس السؤال عن حياته فرد حليم قائلًا: «نعم؛ نفس الحياة تقريبًا، ولكن كل منا يخسر على طريقته الخاصة».

وسألته صوفيا: «هل كنت تتخيل أن تكون مطربًا ونجمًا مشهورًا ليس فى بلدك فقط، ولكن فى الدول العربية وبعض البلاد الأوروبية؟»

فرد حليم قائلًا: «بالطبع لا. لم أكن أتوقع أن أحقق تلك الشهرة، خاصةً أن شقيقي سبقني إلى المجال نفسه، ولم يحقق ما كان يتمناه».

بوح من القلب

ثم باغتها قائلًا: «هل أنت كذلك كنت تتوقعين أن تحققي كل هذه الشهرة العالمية؟»

فقالت صوفيا: «شعرت فى طفولتي بأنني يجب أن أكون شيئًا. هل تعرف أنني من أسرة فقيرة جدًّا وأن أبي ظل يعيش مع أمي من دون زواج حتى بعد أن جئت إلى الدنيا؟ وكنت أسمعه يمارس معها الحب ويلقي فى أذنيها أحط وأحقر الألفاظ، وهي برغم تلك الإهانات تبدو سعيدةً. ولذلك كنت أشمئز منه وأرفض أن أقبله».

«ولا أنسى عندما جاء يومًا إلى أمي ليقول لها أنه أصبح صديقًا لفتاة فى العشرين من عمرها، وأن الفتاة حامل وأنه يخاف من البوليس. فما كان من أمي إلا أن طردته، وبكت حالها ثم انخرطنا فى البكاء أنا وأمي وشقيقتي لأننا كنا نعلم أن أمي تحبه برغم خيانته لها».

ثم سألت العندليب: «وهل فى حياتك حياة مختلفة كهذه؟»

ضحك حليم وقال لها: «كل حياتي مكعبلة وملخبطة ومختلفة».

صوفيا: «هل تحكي لي؟ تحكي لصوفيا؟»

حليم: «ليس لي أم. ماتت بعد مولدي، وليس لي أب. لقد رحل وأنا طفل صغير. مات الاثنان. أنا مشهور جدًّا فى بلادي، لكن الشهرة جاءت مع المرض».

فقالت له صوفيا: «هل تريد أن تبكي؟ هل تشعر مثلي بالدموع؟ وهل تشعر أن الدموع أمل؟»

وأضافت: «إني أخشى أن أبكي فيلتفت لي أحد رجال الدعاية ويضع دموعي فى بنك دعايته، وتخرج مقالات وقصص وحكايات وإشاعات عنها. والجمهور كالطفل كثيرًا ما يتعرض للخديعة. دائمًا لا يعرفون أن الحزن هو الصديق الوحيد للفقراء جدًّا الذين أصبحوا أغنياء جدًّا».

فقال لها العندليب: «أنا لم يدر بي أحد ليطلب لي العمل، ولم أوسط أحدًا لكي يساعدني على أن أعمل حتى أنني عملت بشكل رسمي كموظف. سعيت لأتقدم باستقالتي، فلم يقبلوها فتغيبت كثيرًا حتى تم فصلي من العمل. وبعد ذلك احترفت الغناء، وكانت كل الأبواب مغلقةً أمامي، ولكني استطعت أن أنفذ إلى كل تلك الأبواب المغلقة. لقد فتحتها بأسناني وبرحلة كفاح طويلة».

فقالت صوفيا: «أما أنا فقد فُتحت لي أبواب الشهرة بالكذب بعد أن سألوني هل تجيدين السباحة فقلت نعم، وقفزت فى حمام السباحة وتركتهم ينتشلوني فيما بعد».

دمعة فراق

ثم سألت العندليب: «أليس من حقنا أن نقوم بجولة ترفيهية سياحية؟»

قال العندليب: «إنني أتمنى ذلك حتى تخرج الصحف وتقول: صوفيا لورين تقع فى غرام سيناترا الشرق الأوسط».

وقالت صوفيا: «لا تذكرني بهذا الوغد سيناترا إنه ساحر مع المرأة، ووغد فى نفس الوقت، وأنت يا حليم بعينيك السوداوين مثله فى السحر».

وعندما أشار حليم إلى جوهرة ترتديها، قالت له: «إنها بثمن ربع فيلم من أفلامك».

فاقترب منها حليم وهمس فى أذنيها: «أنت أغلى جوهرة أمتلكها يا حياتي».

صوفيا: «أنت عاطفى جدًّا. أنت لطيف جدًّا. عاملني برقة من فضلك».

وكلنا يعرف رقة حليم وحساسيته المفرطة فى مشاعر الحب وقلبه المتعطش دومًا لحب جديد حتى لو كان هذه المرة مختلفًا ومع نجمة عالمية. إلا أن دمعة الفراق تدحرجت من عينيه وهو يودع صوفيا لورين ويقول لها إلى اللقاء!

الباب التاسع:
سماء وأميرة ومروة!

لماذا رفضت سماء الاقتران بحليم؟

الرفاق حائرون.. يفكرون.. يتخيلون.. يتساءلون فى جنون.. حبيبتي من تكون؟ هذا السؤال الذي حير الناس لسنوات طويلة امتدت ٤٠ عامًا بعد رحيله إلى جانب عمره الذي عاشه وحتى اليوم، هناك نساء كثيرات ادعين أنهن كن حبيبات عبد الحليم أو خطيباته أو حتى زوجاته أو أمهات لأولاده؛ كما أعلنت امرأة تونسية منذ سنوات أنها قضت ليلةً مع عبد الحليم أثمرت ابنًا يعيش معها الآن.

ولكن من خلال مذكرات حليم الشخصية قد تكتشف الكثير من الغرائب والعجائب فى بعض من قصص الحب التي ما زلنا نفتش عنها بين الأوراق القديمة والمبعثرة قصاصاتها هنا وهناك، وما بين كتب ومراجع وأشخاص على قيد الحياة من خلال حوارات خاصة، وأشخاص التقيناهم قبل الرحيل.

هناك قصص حب قد يكون حليم هو الصياد الماهر لفريسته، وقد تكون تلك الفريسة هي الضحية، أو قد يكون حليم هو الحبيب الهائم على وجهه، أو المحبوب المكلوم الذي لم يستطع أن ينتصر لحبه.

ولكن كيف كان وصف حليم شخصيًّا لمشاعره نحو نسائه ونحو أحاسيسهن؟ هل كان حليم يقضي عمره بحثًا عن الحب أو بحثًا عن نغمة شجية معذبة؛ تعزفها أنامل موسيقار رائع ليغنيها حليم بصدق مشاعره أمام جمهور صدقه بالفعل؟

وفى هذا الباب؛ نساء رفضن الارتباط بحليم رغم أنه كان واثقًا جدًّا من أن أي امرأة لا يمكن أن تفكر فى أن ترفضه كحبيب، فما بالك كزوج. لكن كان هناك من النساء اللاتي فهمن عبد الحليم وطبيعته وغرامياته أو على الأقل لم يحببنه أو أن حبهن لأحبائهن لم يسقط أمام إغراءات العندليب كلها ومطارداته لهن.

سماء ترفضه

«سماء» كما أطلق عليها حليم فى مذكراته؛ إنها فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرها.. جميلة.. هادئة.. شقراء.. تبدو كالنسمة الحلوة فى العصر الصيفي.. عندما رآها كانت حالمةً كما وصفها..

يقول حليم: «كانت حالة الكبد تتدهور». وبدأ حليم الحديث عن عمليات تغيير الكبد ويقول: «وبدأت أرى أن الموت يقترب مني، ولكن فى الوقت نفسه بدأت أحس أن الحياة تزداد جمالًا. بالفعل ازدادت الحياة جمالًا عندما قابلت سماء الجميلة، وبدأت أعيش لحظات اطمئنان غريبة».

ويحكي حليم قصة اللقاء ويقول:

«لها جاذبية غريبة. عيونها ضيقة ولامعة. شفتاها ممتلئتان جدًّا. جسدها ممتلئ. صدرها ممتلئ. مشيتها مشدودة. نوع من النساء يثير فى الرجل البلدي، أي بداخلي رغبة فى أن ألقي بنفسي فى بحرها وأن أجيد السباحة. كنت أعرف أنني عبد الحليم حافظ المطرب المشهور الذي تتمناه أي واحدة».

«حاولت التقرب منها. دعوتها مع صديقات وأصدقاء إلى ملهى فى لندن. حاولت أن أرقص معها، لأن أثناء الرقص يمكن أن يكون للجسد لغة أخرى. دعوتها للرقص، فقالت أنها لا تعرف. قلت: أعلمك. كانت فى الجلسة امرأة تتمنى أن تراني زوجًا. فقالت للفتاة الجميلة: ارقصي معه، ودعيه يعلمك. نحن فى لندن. لا تخافي. قامت الفتاة تحت ضغط. حاولت أثناء الرقص أن اقترب منها. وجدتها تعرف الرقص».

«قلت لها: إنت بتعرفى ترقصي. قالت: لكن أنا أعتبر هذه الرقصة أكبر خيانة فى حياتي. قلت خيانة لمن؟ فقالت: خيانة للإنسان الذي أحبه؟ عرفت لحظتها أن الحب الحقيقي موجود. وعرفت أن الإنسان الذي تحبه سيكون من أسعد الناس».

«لا أنكر أنني عشت أجمل لحظة غيرة من طريف. هذه الفتاة الجميلة كلها لهذا الشاب الذي لا يتجاوز دخله ٢٢ جنيهًا وحاولت أن ألتقي به.. أن أعرفه.. أن أسمع منها عنه.. إنه معيد فى الجامعة؛ يحاول أن ينال درجة الماجستير. يكره عمله تمامًا، ثم تعرفت عليه».

لكن هذا كله لا يثني حليم عن مواصلة التقرب من تلك الفتاة، والفوز بها ليضمها إلى رقم فى قائمة نسائه. ويلح حليم على سماء بالتلفونات والمحاصرة.

ولكنها تقول له: ما فيش فايدة يا عبد الحليم. مش بحس بيك. يعني فاكر ايه؟ فاكر إن كل البنات لازم تحبك؟ أنا مش برفضك لأنك وحش أو لأنك فيك عيب. أنا أرفض ارتباطي بإنسان لا أحبه.

أنت ممكن تبقى صاحبي.. صديقي.. لكن زواج أو حجرة نوم واحدة.. بيت واحد.. أولاد.. أنا لا يمكن أن أتخيل أن أكون مدام عبد الحليم حافظ. وعلى كدة ليست ضرورية الهدايا الكثيرة التي ترسلها لإخوتي وعائلتي. أنت عارف أن بابا سألني عن الهدايا وهل لها لزوم؟ فقلت له مالهاش أي لزوم.

المذيعة الهاربة

وأصبحت ذكرى سماء تمثل له العذاب. يقول حليم:

«كنت أحس أنني أدخل إلى عالم من العذاب عندما أتذكر سماء. إنها أول فتاة تقول لي أنت لا تصلح لي. لأول مرة يتأكد فى قلبي إحساس أنني مطرود، وأنا أعرف جيدًا العذاب عندما يكون الإنسان مطرودًا. أعرف هذا بشكل واضح. أذكر ذلك اليوم فى القرية عندما رأيت زوجة أبي تكاد تقتلني عندما جذبتني من رقبتي وأنا طفل فى الثالثة!»

ويتكرر الطرد مرةً أخرى ويقول:

«سماء تطردني من حياتها وتذهب إلى رجل آخر. من هو هذا الرجل الآخر؟ إنه مجرد إنسان عادي».

«وأحس بيني وبين نفسي بالمهانة أكثر عندما أتذكر أن إحدى المذيعات فضلت أن ترتبط بأول من يتقدم لخطبتها؛ حتى تهرب من الإشاعات التي تلاحقها لمجرد أنها تزورني، وأحس بالشماتة بعض الشيء عندما يصلني خبر طلاق هذه المذيعة، وأن زوجها طردها من المنزل، وتزوج من صديقتها الحميمة».

صلاح نصر يحذر حليم

ويحس حليم بأنه مطرود مرةً أخرى من حياة امرأة أخرى فكر فى يوم من الأيام أن يتزوجها. وكان صلاح نصر قد اتصل به عام ١٩٦٥ يحذره منها لأن أخلاقها (مش ولا بد)، وقال له: «إنها تصطاد الرجال من الشارع وهي تنام مع البوابين. إنها حقيرة جدًّا».

ويقول حليم: «كنت أرى هذه الإنسانة بوجه مختلف وأمسكت التلفون وطلبتها لأقول لها: أظن عيب تعملي كده. الكلام ده كله وصل إلى ودان أجهزة الأمن».

«ضحكت هذه الإنسانة وهي تقول أظن أجهزة الأمن عندها حاجات أهم من حجرة نومي. أنا حرة. أحسست أن هذه الإنسانة تطردني من حياتها كأني لا أصلح لأي شيء. كان غرورها قد فاق كل شيء».

وغنى حليم (مغرور حبيبي كتير. عايز أكلمه. عايز أقوله كلام يهديه. يفهمه. مارضيش يفهمني. مارضيش يسمعني).. وكانت تلك الأغنية من وحي هذه العلاقة.

أميرة اللبنانية

قصة حب غريبة عاشها عبد الحليم حافظ فى لبنان. وتوقف فى مذكراته كثيرًا عندها:

«لقد كانت بداية اللقاء فى أسانسير ضيق لا يسع إلا لشخصين يؤدي إلى بار فى فندق».

ويصف عبد الحليم الموقف ويقول:

«فُوجِئت بأن الأسانسير يسع اثنين فقط، ووجدت أمامي فتاةً جميلةً. إنها ليست فى العشرين ولكنها فى الثلاثين وكان ذلك فى عام ١٩٦٨ وصعدنا. وجدت أنها لا تحس بأن اقترابنا الشديد لا يسبب لها أي خجل».

«وكنت أقاوم الخجل فى أعماقي، وكنت أحس أن هناك صراعًا فى أعماقي: صراع بين الخجل وبين الرغبة فى أن أستقر فى حنان هذه المرأة. إنها جسد جميل ووجهها يُعْرَف بأنه جذاب جدًّا، وفيها شيء كالسحر الصافي. عيونها زرقاء وملابسها البسيطة أمواج هادئة تلمس الجسد الجميل بحنان. أحسست أن هناك شيئًا خاصًّا يُولَد لا هو حب ولا هو لقاء عاطفى سريع».

وقالت أميرة بلهجتها اللبنانية الشهيرة: «دخيلك الله. أنت عبد الحليم حافظ ولا حد شبيهه؟»

قلت ضاحكًا: «أنا عبد الحليم».

ضحكت: «طيب غني لي الويل الويل».

قلت لها بصوت يناديها: «الويل الويل يا امه. الويل الويل».

ضحكت وقالت: «أنت عبد الحليم».

«ولم أشعر بالانزعاج وهي تقبلني فى خدي. أحسست أن ذلك من حقها، ووجدت يدي تلتف حول خصرها وهي تخرج من الأسانسير الضيق إلى هذا البار الغريب».

«قالت لي أن اسمها أميرة. وكان الاسم يوحي فعلًا بأنها أميرة. إنني أجد امرأةً تنهي حالة الخصام بيني وبين نفسي. لا أقول إنني أحببتها. فكلمة الحب معناها مختلف عن مشاعري نحو أميرة لبنان».

«إنني ألتقي بامرأة خاصة كاملة؛ فهي ستجعلني أعيش كل التجارب دون إحساس بالخطأ. قالت لي إنها من أسرة كبيرة فى لبنان. الثراء بلا حدود. تملك أكثر من بيت وضيعة فى لبنان، رصيدها ضخم فى البنوك، متزوجة؛ لكنها اكتشفت أن الزوج يحب البنات الصغيرات، ويجعجع كل يوم فى أي اجتماع سياسي، ويطقطق بمسدسه كما يلعب الأطفال. وله حرس وأتباع. وهما

منفصلان. ولا أولاد لديهما».

«إنها تريد أن تشعر بطعم الدنيا. لكنها وحيدة وتحس أن الدنيا مقلب جميل يشربه الإنسان، ويعطش منه ولا يرتوي من هذا المقلب الذي اسمه الدنيا».

قالت له أميرة: «إنك اندفعت نحوي مثل ...»، وأكمل لها عبد الحليم إحساسه: «اندفعت كأنني ألعب. كأني أصعد كأمواج البحر».

وكتب عبد الحليم: «لأول مرة أحس أنني مستريح فى بيروت، وأن الذين حولي لا يخدعونني، وأنني لست فى حاجة إلى كل ذكائي لأتكلم مع كل إنسان، وأن حالة الضيق التي تصاحبني كل نهار انتهت».

«إن الدنيا ليست تمثيليةً ألعب فيها دور المغني ودور المريض، وجهي الذي أراه فى المرآة هو وجهي وليس قناعًا. أحسست فى عيون تلك المرأة أنني آدم الذي لا يحتاج إلى ورقة توت. أعماقي أمامها عارية تمامًا بلا خجل».

«وكثر سفري إلى بيروت. وبدأت أعيش مع أميرة بصداقة وبتفاهم دون أن تحاسبني ودون أن ترهقني. كانت غيرتها (عليّ!) هي غيرةً عارمةً؛ تقولها لي عندما تحتضنني. وكنت أحس عندما أسافر إلى أي مكان أنني يجب أن أشتري لها أول هدية».

ولكن عبد الحليم يكتشف أن أميرة تحترف بيع المتعة، ويصفها فيقول: «أميرة امرأة كاذبة بوضوح. تبيع لي وهم الحب وتبيعه لغيري».

أميرة حقيقية

الفرق بين أميرة وأميرة هو الشكل والمضمون وليس الاسم لأن حليم يقول:

«غنيت ذات يوم فى بيت إحدى الأميرات، وكانت صديقاتها معها، وقالت لي وهي تعطيني جوهرةً على شكل قلب: هذه ثمنها أكثر من مائة ألف جنيه آنذاك، هي لك لأنك أثمن من أي شيء».

حرم سيادة السفير

وما زال حليم فى لبنان يمارس غرامياته. وكانت النساء يجرين وراءه لأنه بالنسبة لهن هو الحلم. كانت حياته مليئةً بمثل هذه النوعية من النساء. ويحكي حليم عن إحداهن ويقول:

«كانت زوجة سفير دولة غنية فى لبنان جاءتني إلى الفندق، وجلست تبكي عند يدي تطلب مني أن أعطيها الحنان مثل الغناء ... ووقفت مشدوهًا أمام هذه الأرستقراطية التي

تتقن خمس لغات ولكنها تتسلل إلى غرفة مطرب فى منتصف الليل، وتطلب منه الحنان. وقلت لها: أنا لست تاجرًا أبيع الحنان بالكيلو لمن تريد. أنا فنان. وكنت أحس بيني وبين نفسي بالكذب، ولم تتركني حرم السفير العربي فى بيروت إلا بعد أن قلت لها إنني أحبها. وكنت فى غاية الضيق».

مروة تدفع الثمن

ومثل زوجة السفير؛ كانت هناك امرأة أخرى دفعت حياتها ثمنًا من أجل حبها لعبد الحليم حافظ. إنها مروة الجزائرية التي تشارك زوجها الفرنسي جان محلًا للهدايا فى ممر رشان فى الشانزلزيه.

يقول عنها عبد الحليم: «كنت أحس أنها تعاملني كأنني طفل وجدته فجأةً، وكانت بعيدةً عنه. كنت أرى أن زوجها جان لا يحاول أن يمنعها من احتضاني وتقبيلي. وقال لي: أنت مطرب تغني لها وبلغتها وبحلمها القديم».

هذا التساهل من جانب الزوج أفسح لحليم تجاوزاته مع مروة الجزائرية، ودفعت حليم إلى أن يزيد علاقته بها.

يقول: «فى بيروت كانت لي حفلة خاصة ... وقررت أن اوجه الدعوة إلى مروة وزوجها. وجاءت. وذُهلت وأنا أغني (رسالة من تحت الماء)، وكادت تفقد صوابها وأنا أغني (موعود)، وكنت قد أهديتها الأغنيتين».

«وفُوجِئت فى الليل بمشاجرة فى حجرة مروة فى فندق سان جورج. حيث أنزل أيضًا وينزلون معي ويدفع إقامتنا جميعًا إنسانة غاية فى الثراء. وهي التي قالت لي: أنت وأصدقاؤك فى بيروت فى ضيافتي. طرقنا على باب الحجرة وفُوجِئنا بالباب تفتحه ابنتهما الصغيرة. وخرجت فى ملابس النوم لتصفعني على وجهي وهي تقول: أنت السبب فى طلاق أمي من أبي. إنني أحب الاثنين، وأنت تفرق بينهما».

«وكانت المرة الأولى فى حياتي التي أتعرض فيها لكراهية طفلة صغيرة. وفُجِعت أكثر وأنا أرى ما يحدث أمامي. مروة تبكي بصوت عال. زوجها جان يبكي أيضًا. يتجه نحوي ويسألني: هل تحب هذه المرأة. إنها تعذبني لأنها تحبك. إنها تقول لي ذلك. ويرد عبد الحليم: أنا أحبكما أنتما الاثنين، ولست شريرًا للدرجة التي أتدخل فيها بين زوجين لأفصل بينهما».

ويكمل حليم حديثه عن مروة ويقول:

«لقد قمت بالصلح بينهما، وأحسست براحة نفسية عميقة لإذابة خلافاتهما. وسافرت مروة وجان إلى باريس، وأنا عدت إلى القاهرة، وقررت أن أسافر إلى العجمي لأستريح وأستجم لبعض الوقت فى فيلَّتي، ولكنني فُوجِئت ببرقية تصلني وتقول: «جان قتل مروة وانتحر.. التوقيع عائشة أخت مروة».

الباب العاشر:

شادية وفاتن ونادية.. بطلات في حياته

مواصفات من أحبهن حليم... رقة وأنوثة ورومانسية

حليم الذي لا نعرفه...

رصيد حليم السينمائي هو ١٦ فيلمًا قدمها مع نجمات السينما الشهيرات؛ أمثال: فاتن حمامة وشادية، ومريم فخر الدين ونادية لطفي، وصباح وزبيدة ثروت، ولبنى عبد العزيز وآمال فريد، وماجدة ومنى بدر، وزيزي البدراوي وإيمان وميرفت أمين.

وفى كل أفلامه ربط الحب بين الشخصية التي يجسدها المطرب أو عبد الحليم وبين كل من هؤلاء النجمات، خاصةً أن حليم كان يقدم الأدوار التي تجبرك على أن تتعاطف معها.

وإذا كانت شادية من أكثر المطربات تواجدًا فى السينما الغنائية فإنها أكثر الفنانات التي وقفت أمام حليم فى ثلاثة من أهم أفلامه. وعندما ظهرت أمام حليم كانت لا بد أن تكون هي الحبيبة التي يقع فى غرامها العندليب وقد كان.

لكن ماذا يميز بطلات أفلام العندليب؟ وكيف كانت قصص الحب الملتهبة بينهما أمام الكاميرا وخلفها؟

رشيقة وجميلة ورومانسية

بدايةً؛ ما يميز فتاة العندليب فى أفلامه كونها رشيقة وجميلة ورومانسية وهادئة، تتهادى فى مشيتها الرقيقة التي تتراوح بين الثقة والتردد خجلًا ودلالًا. هذه الفتاة مندفعة وجسورة، لكنها بريئة وخجولة فى أحيان أخرى، وأهم ما يميزها كذلك زهوها بنفسها؛ لأنها دون غيرها خطفت قلب الأمير.

هذه الأميرة التي تحسدها البنات ليست إلا حبيبة عبد الحليم حافظ، وقد يكون الحب على الشاشة فقط أو كما يقول الشاعر محمد حمزة أمام الشاشة وخلفها حتى ينتهي تصوير الفيلم، إلا أن تجربته مع نادية لطفى تقول غير ذلك، فرغم الخلاف بينهما طوال أيام تصوير فيلم (أبي فوق الشجرة) إلا أنهما قدما أجمل قصة حب على الشاشة.

وعندما نتذكر بطلات عبد الحليم حافظ لا بد أن نتذكر كيف كانت تسير ماجدة بطريقة متأنية، وكيف كانت تتهادى آمال فريد، والنظرة الحالمة للبنى عبد العزيز، ومئات من التنهدات لزبيدة ثروت وإيمان.

إنه الجمال الخاص الذي تتميز به الممثلات البطلات فى أفلام عبد الحليم حافظ؛ حيث كن أكثر جمالًا عنهن فى أي فيلم آخر. فالبطلة أو الأميرة التي يقع فى غرامها حليم،

ويتعذب ويتلذذ فى قصة حبه لها لا بد أن تكون أميرةً حقيقيةً، جميلةً ورومانسية الملامح، وممتلئة الأنوثة، وتستحق أن تحسدها النساء على جمالها ورقتها ورشاقتها.

وبالطبع غير مسموح بأي عيب شكلي فيها ولا بأي ذرة استرجال فى تصرفاتها. ثم يمكن أن تضيف بعد ذلك ما تحب من توابل الشقاوة، الدلال، الطفولة البريئة، الذكاء، والمكر الأنثوي بطبيعة الحال.

أحلام الطبقة المتوسطة

ولا شك فى أن الصعود الاجتماعي من الطبقة الفقيرة إلى الطبقة الثرية هو الموضوع المفضل لأفلام عبد الحليم.

إنها قصة حياته الحقيقية التي كرر أداءها فى أفلامه المرة تلوى الأخرى؛ حيث أدرك بذكائه أنه رغم أن هذه القصة قد لا تتناسب فكريًّا مع شعارات ثورة يوليو التي تنادي بمجتمع اشتراكي يتساوى فيه الجميع، لكنها رغم ذلك تداعب أحلام الطبقة المتوسطة العريضة التي يحلم أفرادها بالرقي الاجتماعي، ويحلم شبابها بابنة السلطان حتى وإن كانوا يلعنونها علنًا، وتحلم بناتها بالشاب الثري الذي قد يكون ابن الجيران، ولكن بعد أن يرتقي اجتماعيًّا، ويتمكن من أن يكون واحدًا من أبناء الطبقة الثرية فى المال والنفوذ.

وفى ظل إدراك عبد الحليم لهذا الحلم فى نفوس أبناء جيله لم يكن مُستغربًا أن يختار قصصًا لأفلامه تشبه فى أكثرها قصص أفلام محمد عبد الوهاب رغم ما يفصل بينهما من فاصل زمني وتغير اجتماعي، ولذلك لم يكن غريبًا أن ترى فى أفلام عبد الحليم تكرارًا لتيمة الولد الفقير الذي يحب ابنة السلطان.

وجاءت أفلام حليم على عكس أغانيه، فبينما روجت أغانيه لثورة يوليو التي تنادي بالتغيير الاجتماعي وتحرير المرأة وخروجها للعمل، فإن أفلامه فى معظمها تنادي بتلك المفاهيم التي تسعى إلى تغيير اجتماعي؛ تلعب فيه المرأة دورًا كبيرًا، لكنها أتت كما أشرنا استلهامًا لأحلام شباب الطبقة الوسطى فى الأميرة الجميلة التي يتزوجها الولد الفقير.

فى أفلام (حكاية حب، يوم من عمري، الخطايا، معبودة الجماهير، ليالي الحب، فتى أحلامي، شارع الحب، أيام وليالي). تكررت هذه القصة بحذافيرها، فهو مرةً يكون الموظف الفقير أو المدرس المطحون أو الفتى اللقيط أو ابن الزوجة المغلوب على أمره. بينما البطلة دائمًا فتاةً ثريةً جميلةً تدرك أنها غنية، وتحب

هذا الفقير، وتترك كل أبناء طبقتها الغنية وتتمسك بحبها لهذا الشاب الفقير.

حليم وشادية

غنى حليم وشادية فى أكثر من دويتو غنائي مثل أغنيات (حاجة غريبة)، (تعال أقولك)، (إحنا كنا فين)، (لحن الوفاء). وعندما ظهر هذا الثنائي كان متجانسًا فى العام الأول سواءً من حيث السن والتفاهم، وفى (لحن الوفاء) بدا كل منهما متشابهًا فى ظروفه، خاصةً فى ظروف بطلي الفيلم (جلال وسهام)، فكلاهما يتيم بلا أسرة؛ يبحث عن جذور وحب، والزمن ينتظره. وسرعان ما يتبادلان الحب.

وهناك أغنية جمعت بينهما من دون أن يلتقيا (مين اللي يعرف مين) أكدت ما يربط بين الحبيبين من مشاعر فياضة تعكس هذا الحب الوليد.

والهوى هنا مولود بين اثنين من الشباب المتفهم، يجمعهما هنا حب الموسيقى والغناء، وليست هناك فوارق حادة بين الاثنين. فجلال عرف الفقر والبداية الصعبة إلى أن تخرج فى الجامعة، وهي فى بداية حياتها واحدة من فريق غنائي سوف تصعد إلى مصاف نجومية الفرقة بعد أن يكون قائد الفرقة العجوز أُغْرِم بها.

وقد تكررت الأجواء نفسها فى فيلم (دليلة) بين البطلين نفسيهما، فمحمد هنا موسيقار شاب مبتدئ يرتبط بعلاقة حب مع جارته دليلة؛ التي تشد من أزره وتلهمه وتقف إلى جواره.

والفيلم بمثابة رحلة صعود لهذا المطرب الموسيقار أمام الحبيبة، فقد رأيناها فى امرأتين تحملان الصور نفسها، حيث جسدت شادية دور دليلة الجارة الحبيبة التي تقرر الانتحار عندما تعرف أن حبيبها اضْطُر لبيع ألحانه فى الصالات الوضيعة من أجل أن يصرف عليها.

أما المرأة الثانية – شادية أيضًا – فهي فتاة ثرية تتزوج منه، ولا تهتم إلا بالمظاهر وبنفسها، فتبدو بمثابة الوجه الشرير لدليلة التي تظهر مرةً أخرى.

معبودة الجماهير

ولم تلتق شادية وعبد الحليم إلا بعد أكثر من ٩ سنوات فى (معبودة الجماهير) وأيضًا فى أجواء الغناء والمسرح. وإذا كان هناك فرق طفيف بين الحبيبين فى (لحن الوفاء) ما لبث أن ذاب، فإن هذا الفارق يظهر معكوسًا بين سهير المطربة المشهورة وإبراهيم الممثل المبتدئ، لكنه لا يلبث أن يذوب كي يتعرض الحب فيما بعد لأزمة ملحوظة.

والتشابه هنا متكرر بين الحبيبين، فهما بلا جذور أو أسرة أو أصل، والحب هنا باق مهما كانت الشهرة. والقضية الرئيسية فى حياة العاشقين هي البقاء على عهد الهوى، وهناك جرح ما يصيب الكبرياء وهو الذي يؤخر التقاء الحبيبين من جديد.

شيء آخر

وشادية فى (معبودة الجماهير) شيء آخر. لكن شادية استطاعت فى أفلامها مع عبد الحليم أن تكون هي نفسها، وليست الفتاة التي تليق به. ورغم أن فيلم (معبودة الجماهير) هو معزوفة أخرى على تيمة الفتى الفقير وبنت السلطان؛ فإن أداء شادية اختلف عن بقية بطلات أفلام عبد الحليم اللاتي مثلن دور الأميرة أمام عبد الحليم.

كانت شادية بحكم خبرتها وعمرها ونضجها نموذجًا آخر لا يمثل الأميرة بالضبط، ولكن ربما الملكة أو السيدة الناضجة التي تحب بشكل مختلف. ورغم ذلك، وبسبب نجوميتها ونجومية عبد الحليم المطلقة، لم يجد المخرج حلمي رفلة بدًّا من أن يحولها وفى لحظة واحدة، من سيدة ناضجة ذات إرادة قوية وعزيمة لا تلين إلى امرأة تترك كل شيء وتنهار من أجل حبيب خادع وكاذب.

إن شادية هي الوحيدة التي لعبت بطولة ثلاثة أفلام أمام حليم، وكانت أول أفلامه (لحن الوفاء) الذي بدأ تصويره ١٩٥٥ ولكن لم يخرج إلى النور إلا مع الفيلم الثاني الذي وضع أيضًا ملامح نجاح عبد الحليم فى السينما المصرية، حيث انتهى عبد الحليم من تصوير فيلم (أيامنا الحلوة)، وأصبح بطلًا أمام الفاتنة الشقية شادية فى الأول، ونجمة السينما العربية فاتن حمامة فى الثاني.

وكان للتباين بين الدورين اللذين تابعهما الجمهور فى عام واحد صدى كبير أضاف الكثير لجماهيرية حليم.

وعن هذا اللقاء فى هذا الفيلم تحدثت شادية وقالت:

«إن عبد الحليم كان يتميز بالهدوء والإتقان والخجل، والتزام هذا الشاب الجديد على الشاشة الذهبية، كان شديد الخجل لا تشعر به أثناء العمل، ولا تعرف إذا كان حليم موجودًا أم لا إلا فى حالتين؛ الأولى: بدء التمثيل. والثانية: إذا بدأ فى (الدندنة) مع نفسه، فيلتف من حوله الجميع».

وتؤكد شادية أيضًا أن نجاحها مع عبد الحليم فى هذا الفيلم، واستيعاب عبد الحليم لموهبة ونجومية وشقاوة شادية على الشاشة وفى الكواليس هو الذي

جعل من السهل عودة اللقاء مرةً أخرى فى العام التالي مباشرةً من خلال فيلم (دليلة)، ثم جاء اللقاء السينمائي الثالث والأخير بينهما فى فيلم (معبودة الجماهير) عام ١٩٦٧ ليُتَوج نجاح العلاقة واللقاء الفني ما بين شادية وحليم.

ربما فى بداية حليم السينمائية كان لرومانسية حليم أمام شقاوة شادية وهدوء فاتن حمامة صك النجاح لدى جمهور الشاشة الكبيرة، فانطلق حليم يؤكد نجاحه، بأن أعاد أيضًا تجربة بطولة مطلقة مع فاتن حمامة من خلال فيلم (موعد غرام) فى العام التالي مباشرةً. وبدلًا من أن يقاسمه بطولة الفيلم نجوم آخرون – كعمر الشريف وأحمد رمزي فى (أيامنا الحلوة) – انفرد حليم بالبطولة أمام فاتن فى (موعد غرام).

وكما ذكرنا أنه أعاد التجربة أيضًا فى العام التالي مع شادية فى فيلم (دليلة)؛ ليجد حليم نفسه مرةً أخرى فى فيلمين، والاثنان بطولة مطلقة، أمام شادية وفاتن حمامة.

أما قصص الحب التي ربطت حليم وفاتن حمامة فى الفيلمين اللذين اجتمعا فيهما قائمة على التضحية فى المقام الأول؛ ففى فيلم (أيامنا الحلوة) يضحي العشاق الثلاثة من أجل سعادة هدى. صحيح أن هناك صدمة تصيب الصديقين عندما يكتشفان أن هدى تحب زميلهما أحمد، لكن الثلاثة يتكاتفون من أجل تدبير المال لعلاجها عقب معرفة إصابتها بمرض الصدر.

وفى فيلم (موعد غرام) كانت التضحية قويةً من طرف نوال التي قررت عدم كشف سر مرضها لحبيبها سمير وهو فى طريقه إلى النجومية الغنائية إلى أن يعرف الشاب بمقدار التضحية، فيسرع إليها ويلحق بها فى الطائرة وهي متجهة إلى أوروبا للعلاج.

والواضح أن الحبيبات تتكرر وجوههن وتتشابه (حواديتهن) ومشاعرهن النبيلة. وفى هذا الفيلم، بدت فاتن خفيفة الظل وهي تضرب المواعيد لسمير كي تعاقبه على تعامله معها مثلما يتعامل مع كل البنات.

حليم ونادية

أما الممثلة الثالثة التي وقفت أمام حليم فهي نادية لطفي؛ التي وقفت مرتين كما ذكرنا فى حلقة سابقة. ولكن صورة نادية اختلفت فى الفيلمين اختلافًا كبيرًا، ففى (الخطايا) هي بنت كلية الهندسة ذات الضفيرتين، وابنة الأكابر وحيدة أبيها التي تفجر صراعًا فى

الأسرة؛ فهي تحب زميلها حسين – أو حليم – فى الدفعة نفسها ووالدها يريد أن يزوجها لأخيه الأصغر – حسن يوسف – الذي يعرف بقوة العلاقة بين الطرفين.

وتبدو سهير هنا فتاة ذات هوية وثقافة عامة عالية وموقف اجتماعي، فهي تتزوج من حبيبها برغبتها حتى إن جاء ذلك ضد رغبة أبيها.

أما الدور الثاني الذي قدمته نادية أمام حليم فكان فى فيلم (أبي فوق الشجرة)، وهنا تختلف الشخصية تمامًا فهي ابنة ليل، زبائنها هم الأغنياء الذين يأتون إلى دارها من أجل جسدها ودفع الأموال، وابتزازهم بطلبات غير مباشرة، وفردوس هنا تعرف الحب، وتبدأ من خلال علاقتها بعادل بإزالة قناع العاهرة وارتداء ثوب أكثر براءةً، لكن علاقتها بالطالب الذي جاء لقضاء أجازة الصيف مع زملائه لا تتعدى الفراش.

ورغم أن مثل هذا الحب لا بد أن ينتهي، فإن فردوس وقفت بحزم شديد ضد استغلال والد عادل عندما صعد إلى شجرة الخطيئة نفسها فى الشقة نفسها، فسعت لإبعاده عن المنزل عندما عرفت بالأمر، أي أن فردوس لم تتوقف عن استقبال وافدين جدد، لكنها تطهرت بالحب العابر، ولم تشأ أن يكون والد فتاها ضحيةً فوق الفراش نفسه.

وكما أشرنا؛ فإن حبيبات عبد الحليم حافظ السينمائيات كثيرات للغاية؛ يدخلن معه قفص الرومانسية وأغلبهن يحطمن قيود الفوارق الاجتماعية التي تفصلهن عنه باعتبار أن طموحه فى عالم الغناء يسد هذه القيود والفوارق، وهذا ما نتحدث عنه فى الباب القادم.

الباب الحادى عشر:
حكاياته مع بطلات أفلامه..
ماجدة ومريم وزيزي

ستظل أفلام العندليب الراحل تحتل مكانةً متميزةً ومتفردةً فى تاريخ السينما المصرية باعتراف الجمهور؛ الذي ما زال يرى حليم نجمه الأول رغم سنوات الغياب الطويلة، وأيضًا باعتراف النقاد الذين يتأكد لهم يومًا بعد يوم أن ما قدمه حليم من أفلام ضمن له الخلود الفني غناءً وتمثيلًا.

وإذا كانت أم كلثوم قد قدمت ٦ أفلام، ومحمد عبد الوهاب ٧ أفلام، وفريد الأطرش ٣١ فيلمًا، وليلى مراد ٢٧ فيلمًا، ومحمد فوزي ٣٦ فيلمًا، وشادية ٨١ فيلمًا، وصباح ٨٤ فيلمًا؛ فإن أفلام عبد الحليم حافظ الستة عشر كانت الأقوى والأبقى والأكثر وضوحًا وتأثيرًا فى ذاكرة السينما الغنائية.

أفلام فى الذاكرة

بين عامي ١٩٥٥ – ١٩٦٩ قدم حليم أفلامه وهي بهذا الترتيب حتى تبقى فى الذاكرة:

(أيامنا الحلوة)؛ بطولة فاتن حمامة، وإخراج حلمي حليم عام ١٩٥٥.

(لحن الوفاء)؛ بطولة شادية، وإخراج إبراهيم عمارة عام ١٩٥٥.

(ليالي الحب)؛ بطولة آمال فريد، وإخراج حلمي رفلة عام ١٩٥٥.

(أيام وليالي)؛ بطولة إيمان، وإخراج بركات عام ١٩٥٦.

(موعد غرام)؛ بطولة فاتن حمامة، وإخراج بركات عام ١٩٥٦.

(دليلة)؛ بطولة شادية، وإخراج محمد كريم عام ١٩٥٦.

(بنات اليوم)؛ بطولة ماجدة، وإخراج بركات عام ١٩٥٧.

(الوسادة الخالية)؛ بطولة لبنى عبد العزيز، وإخراج صلاح أبو سيف عام ١٩٥٧.

(فتى أحلامي)؛ بطولة منى بدر، وإخراج حلمي رفلة عام ١٩٥٧.

(شارع الحب)؛ بطولة صباح، وإخراج عز الدين ذو الفقار عام ١٩٥٨.

(حكاية حب)؛ بطولة مريم فخر الدين، وإخراج حلمي حليم عام ١٩٥٩.

(البنات والصيف)؛ بطولة زيزي البدراوي وسعاد حسني، وإخراج فطين عبد الوهاب عام ١٩٦٠.

(الخطايا)؛ بطولة نادية لطفي، وإخراج حسن الإمام عام ١٩٦٢.

(يوم من عمري)؛ بطولة زبيدة ثروت، وإخراج عاطف سالم عام ١٩٦٣.

(معبودة الجماهير)؛ بطولة شادية، وإخراج حلمي رفلة ١٩٦٧.

(أبي فوق الشجرة)؛ بطولة ميرفت أمين ونادية لطفي، وإخراج حسين كمال عام ١٩٦٩.

وكان حليم قد احترف التمثيل، وقدم فى مشواره الفني ١٦ فيلمًا من كلاسيكيات السينما المصرية، ومن أنجح أفلامها؛ إذ أن هناك أفلامًا تخطى عرضها الأربعين أسبوعًا فى دور العرض.

ومع بطلات أفلامه نتابع ونواصل كيف كانت علاقة العندليب بهن على الشاشة وخلف الكواليس:

ماجدة الصباحي

لعبت أمامه بطولة فيلم (بنات اليوم)، وقد كان من الغريب على المخرج هنري بركات أن يختار ماجدة بدلعها التقليدي لتؤدي دور الفتاة المسؤولة التي تحب فى صمت، بينما كانت مؤهلاتها تؤهلها لأداء دور الفتاة الطائشة، لكن بركات قرر أن يضيف لها، لتضيف هي بدورها للبطل الذي يحبها؛ فتخيل أن يصبح كل هذا الدلع رمزًا للمسؤولية.

وكانت ماجدة ترى أنها أحق بأن يُوضَع اسمها على تترات الفيلم قبل حليم لأنها بطلة ومنتجة قبل أن يدخل حليم السينما، وكانت خارجةً من نجاح مدو لفيلمها (أين عمري)، لكن بركات مخرج الفيلم وشريك عبد الوهاب فى إنتاجه قال لها: حليم لن يوافق على هذا الشرط.

وقررت أن تنسحب من الفيلم، فطلب بركات مهلةً حتى يعرض الأمر على حليم وعبد الوهاب. وبعد يومين وافق حليم على وضع اسمها قبل اسمه على تترات الفيلم، فسعدت ماجدة وعملت الفيلم.

ولكن عندما عُرِض الفيلم وجدت أن اسم حليم هو الأول فغضبت، وظلت تسأل حليم وبركات وعبد الوهاب، وكل منهم يلقي بالتهمة على الآخر وأنه المسؤول. ولكن هذا الغضب – كما تؤكد ماجدة – لم يدم طويلًا:

«لأن حليم كان إنسانًا وفنانًا حساسًا، وكنت سعيدةً عندما كنت أعمل معه فى هذا الفيلم لأنه كان يعاملني بمنتهى الرقة والحساسية، وكان مجاملًا وخفيف الظل، وأكثر من ذلك كان فنانًا قديرًا يقدر قيمة الفن ومن يعملون معه فى هذا الفن».

«إن حليم شخص مريح جدًّا فى العمل ومجتهد جدًّا، وعندما تراه تشعر وكأنك تعاملت معه كثيرًا، ولكن عبد الحليم كان من الأشخاص الذين يهتمون

بعملهم كثيرًا وأصدقاؤه المقربون محدودون جدًّا، فهو كان خجولًا، ويحتاج لوقت طويل حتى يرتبط بعلاقة صداقة مع أحد داخل بلاتوه التصوير، فأثناء العمل كان يحتاج إلى التركيز لأنه كان يفضل عمله ويخلص له كثيرًا، وصوته هادئ جدًّا، ومن الصعب أن تجده ثائرًا أو خارجًا عن حدود اللياقة والأدب؛ فهو دائمًا يتعامل وكأنه يقف خلف حاجز زجاجي، فإذا اعترض فهو يعترض بهدوء وتعقل، وإذا طلب التجديد أو التغيير يفعل هذا دون أن يراه أو يشعر به أحد، ويطلب ذلك على استحياء شديد بطريقة مهذبة ومنطقية».

«والحق يُقَال إن فيلم (بنات اليوم) الذي قدمته مع عبد الحليم كان له مكانة خاصة فى أعمالي الفنية، وأشعر أني نضجت فنيًّا لاختياري مثل هذا الدور بشكل خاص.

وفى نفس العام قدم حليم فيلمًا آخر كان دليلًا على نضجه الفني واختياره للقصة والدور المتميز فى فيلم (الوسادة الخالية) الذي ما زالت قصته تشغل الكثيرين وهي الحب الأول، وهل هو حقيقة أم سراب؟

وكانت البطولة للفنانة لبنى عبد العزيز؛ التي كانت تتلمس بداية طريق النجومية فى ذلك الوقت.

آمال فريد

ومن ماجدة إلى آمال فريد بطلة الفيلم نفسه، وفيلم آخر أمام حليم هو فيلم (ليالي الحب)؛ فقد كانت آمال فى قمة تألقها وهي إلى جوار عبد الحليم حافظ؛ حيث استغل كل من المخرج حلمي رفلة والمخرج بركات رومانسية ملامحها ورقة صوتها، وحاولا إضفاء بعض الفخامة على حركاتها ليخلقا بذلك أنثى تليق بعبد الحليم حافظ.

مريم فخر الدين

وما زلنا نتنقل من شارع إلى آخر ومن حكاية إلى أخرى من حكايات العندليب، ونقترب هنا من (حكاية حب)؛ تلك الحكاية التي كانت بطلتها مريم فخر الدين الفتاة الثرية المرفهة الرقيقة، لكن مخرج الفيلم حلمي حليم لم يكتف بذلك، فلكي يزيد من افتتاننا منحنا أرق مشاهد مريم فخر الدين على الشاطئ والهواء يحرك فستانها الشفاف وشعرها الناعم وعبد الحليم يغني لها أغنية (بتلوموني ليه)، فهل كانت هناك فتنة أجمل من تلك؟

كانت مريم فخر الدين فى تلك الفترة الثنائي الرومانسي الغالب فى أفلام فريد الأطرش

مثل (عهد الهوى) و(ماليش غيرك) و(رسالة غرام) و(يوم بلا غد).

ولكنها فى فيلم (حكاية حب) بدت شديدة العاطفة والرومانسية؛ فهي تعرف أن حبيبها محكوم عليه بالموت، ولذلك فإن قبلاتها الملتهبة تُعَد بمنزلة الوداع الأخير. ولم يكن المشاهدون يعدون القبلات فى الصالة أثناء مشاهدة الفيلم فقط لكثرة عددها، ولكن لأنها كانت ذات هوية خاصة، وهو أمر لم يحدث قط فى تاريخ السينما سوى مرتين، والثانية كانت أيضًا مع عبد الحليم فى فيلم (أبي فوق الشجرة) مع نادية لطفي.

وإذا كانت الإشاعات ترددت بأن نادية كانت تأكل البصل فى وجباتها حتى لا تجعل حليم يقبلها فى الفيلم وهي – نادية – تنفى ذلك، إلا أن هناك شائعةً أخرى مفادها أن مريم فخر الدين كانت (تقرف) من عبد الحليم عندما كان يقبلها فى فيلم (حكاية حب) بحجة الرائحة التي كانت تنبعث من فمه، وتحمل رذاذ الأدوية التي كان يواظب على تعاطيها من جراء حالته الصحية. إلا أن مريم أيضًا نفت ذلك وأن ما نُشِر من كلامها فى هذا الخصوص كان محرفًا.

رسمت الفنانة الناعمة مريم فخر الدين فى فيلمها (حكاية حب) مع حليم نهايةً رومانسيةً لحياة عبد الحليم التي كان يتمنى أن تنتهي بها حياته فى الحقيقة؛ فقد كانت أحداث الفيلم قد أخذت ملامح كثيرة من حياة حليم الحقيقية إلى الشاشة.

زيزي البدراوي

إذا كانت كل نجمات السينما مهما كانت نجوميتهن، ومهما كانت شهرتهن قد استفدن من العمل فى سينما حليم؛ فإن فنانةً مثل زيزي البدراوي – التي وقفت أمامه فى فيلم (البنات والصيف)، والتي استبدلت دور الأخت إلى الحبيبة؛ التي ترفض حب حليم مع الوجه الجديد فى ذلك الوقت سعاد حسني – تكاد تكون الفنانة الوحيدة التي خسرت من عملها مع حليم، وهي بنفسها تفسر ذلك بقولها:

«قدمت هذا الدور فى بداية الستينات، وكنت قد قدمت العديد من الأفلام فى تلك المرحلة، وقصة الفيلم كانت تدور حول فتاة يقع شاب خجول ومهذب فى حبها، ولكنه لا يستطيع أن يدخل منافسةً مع شاب آخر استطاع أن يخدع الفتاة بكلماته المعسولة وخبرته فى التعامل مع الفتيات، وينجح فى خداع البنت التي رفضت حب عادل – أو حليم – الشاب الخجول الهادئ».

وتضيف زيزي: «لقد ظلمت نفسي وقتها بقبولي هذا الدور، فقد فقدت كثيرًا من جمهوري لأنني رفضت حب شاب رومانسي هو ملك قلوب العذارى، كما أطلقت عليه بعض الصحف فى ذلك الوقت».

«أما عن علاقتي بحليم فلم تكن تتعدى علاقة العمل داخل الأستوديو وأثناء التصوير خاصةً. عدد المشاهد التي جمعت بيني وبين حليم كانت قليلةً، ولكنه شخصية مبهرة عندما تراه لأول وهلة، وعندما عملت معه كان نجمًا كبيرًا».

«ولكن رغم نجوميته كان شديد التواضع والهدوء، وهو دائمًا مثله مثل أصغر فرد فى البلاتوه وقادر على استيعاب وتنفيذ توجيهات المخرج من دون أي اعتراض، ولديه شفافية فى نقد نفسه؛ ربما أكثر من النقاد أو المحيطين به، وهو كان شديد التواضع حتى ينتابك شعور بأنك النجم وهو شخص عادي وليس النجم الكبير عبد الحليم حافظ».

زهرة العلا

أما زهرة العلا التي أخذت البطولة مع عبد الحليم لتكون هي الزوجة الأولى والأخيرة لحليم على الشاشة، فقد جاء هذا اللقاء بينهما من خلال فيلم (موعد غرام). لكن كانت البطولة المطلقة لفتاتين فى (فتى أحلامي)، وهما لم تكونا قد دخلتا عالم السينما من قبل، وأيضًا لم يستمرا فيها بعد هذا الفيلم؛ إذ اعتزلتا التمثيل وهما منى بدر وسهام، فكان رصيدهما السينمائي قد توقف بعد هذا الفيلم.

الباب الثانى عشر:
حليم وبطلات أفلامه صباح وزبيدة ولبنى وميرفت

البحث ما زال مستمرًا، والسؤال لا يزال حائرًا ويبحث عن إجابة، ونحن ما زلنا نفتش ونبحث فى قصص حبه لبطلات أفلامه؛ سواء كانت تلك القصص وهميةً أو حقيقيةً، أو كانت مجرد إعجاب أو على الشاشة فقط.

لكن نستطيع أن نؤكد أن حبيبات عبد الحليم كثيرات للغاية ... يدخلن معه قفص الرومانسية وأغلبهن يحطمن قيود الفوارق الاجتماعية التي تفصلهن عنه، باعتبار أن طموحه فى عالم الغناء يسد هذه الفوارق، مثلما فعلت نادية – أو مريم فخر الدين – فى فيلم (حكاية حب)، وفعلت ناني – أو زبيدة ثروت – فى فيلم (يوم من عمري)، وفعلت كريمة – أو صباح – فى فيلم (شارع الحب).

صباح فى شارع الحب

ارتبطت قوة الحب التي تربط عبد الحليم بفتياته فى أنه صاحب قبلة على طريقة (شمشون الجبار) مثلما رددت كريمة فى فيلم (شارع الحب)، فهي تردد متسائلةً بعد أول قبلة جمعتهما معًا: أنت مين؟ أنت شمشون الجبار؟

وقد بدا ذلك واضحًا فى تلك القبلة التي تبادلاها فى الشرفة بعد حالة من الخصام الهش التي حدثت بينهما على أساس الغيرة، وإن كل فتاة كانت تتراهن مع الأخرى لتكسب حليم فى صفها، والذي ظهر فى الفيلم بشخصية مدرس الموسيقى.

ولكن هذه القبلة المهداة إلى صباح هدمت المعبد على كل المنافسين والمتراهنات فى النادي الذي يضم كريمة وصديقاتها، وكما أشرنا فإن الحب هنا جمع بين مطرب شاب فى بداياته وفتاة من أسرة ثرية؛ تحاول أن تدفع به كي يحقق مكانةً عاليةً ومرموقةً فى دنيا المغنى.

وصباح؛ تلك الشحرورة التي أحب حليم شقيقتها وهو فى مقتبل العمر، كانت فنانةً رومانسيةً جدًّا على الشاشة فضلًا عن كونها مطربةً كبيرةً ومشهورةً لا تقل عن شادية أو غيرها من نجمات الزمن الجميل.

وغنت صباح مع حليم فى هذا الفيلم عندما كانت ترتدي فستان زفاف أبيض لتقول (وحياة عيني دول)، وهي فى الفيلم فتاة لعوب ثرية جميلة؛ اعتزلت شقاوتها من أجل عبد الحليم الذي كان من الطبيعي أن يتوه فى حب هذه الشحرورة الجميلة الممتلئة بالأنوثة وعبقرية الأداء والحضور الطاغي على الشاشة.

ولأن عبد الحليم كان النجم الأول للفيلم؛ فقد تآمر المخرج عز الدين ذو الفقار والكاتب

يوسف السباعي ليحولا صباح لمجنونة عبد الحليم التي تطارده بالتلفونات، وتفعل المستحيل من أجل الاقتراب منه أو الفوز به زوجًا.

زبيدة ثروت فى يوم من عمري

أما زبيدة ثروت فإنها – كما يقول الناقد محمود قاسم – لم تقع تحت تأثير القبلة الشمشونية الجبارة فى فيلم (يوم من عمري) لطبيعة رومانسية العلاقة. لأنها كانت ضيفةً فى بيت صلاح الصحاف، وكان ما بينهما عناق خفيف، ويغني لها أغنية (بأمر الحب) كما أنه يتعامل معها كأنه يصون لنفسه ولأبيها حجرًا كريمًا غاليًا.

وزبيدة ثروت فى فيلم (يوم من عمري) لم تكن تحتاج لما يضيف إلى جمالها شيئًا، فقد كانت نموذجًا للطفلة الجميلة المتفجرة بالأنوثة الطاغية، وكانت عاشقةً بشكل طبيعي لعبد الحليم، ولم يكن مخرج الفيلم عاطف سالم يحتاج لأكثر من تسجيل خجلها الذي فضح إعجابها الحقيقي بعبد الحليم.

شخصيات نبيلة

ومن هنا نكتشف الشخصية الرومانسية التي جسدتها النساء فى حياة حليم سينمائيًّا؛ فالنبل هو سمة عامة فى هؤلاء النساء مثل الدور الذي جسدته ماجدة فى فيلم (بنات اليوم)؛ فهي تكتم مشاعرها المتقدة داخل أعماق قلبها من أجل سعادة شقيقتها مع خالد، وتحاول أن تجمع بين الخطيبين عندما تتصرف الأخت ليلى برعونة شديدة، لكنها تقرر أن تكشف الحقيقة عندما تجد أن ما فعلته أختها يمس كرامة خالد وأنها حاولت تشويه سمعته بما ليس فيه.

إذًا؛ فنحن أمام عاشقين يجمعهما الحب النبيل والخلق السامي، والحبيبة هنا ترفض أن تسمع اعترافًا بحب خالد لها حتى لا تجرح مشاعر أختها رغم أنها كانت أول من جرح قلبها بهذه العلاقة المحكوم عليها بالفشل.

وقد كانت هؤلاء الحبيبات بمثابة الحب الأول وأحيانًا الأخير فى حياة البطل، ولذا فقد كان حبًّا قويًّا مليئًا بالمشاعر البكر، وكان من الصعب التخلي عنه ونسيانه. ولا شك فى أن هناك حبًّا آخر فى حياة الشخصية يتمثل فى الفن، لكن عبد الحليم لم يؤد فقط شخصية الفنان، بل كان أحيانًا رجل أعمال أو طالبًا أو موظفًا صغيرًا.

وقصة الحب الأول كانت مؤرقًا شديدًا لصلاح فى فيلم (الوسادة الخالية)، وهو حب تلاميذي تنعكس آثاره فيما قاله الأب: «لو تقدر تتجوزها وتصرف عليها ماشي. أنا مش مستعد أفتح لك بيت»، وفى وسط هذا العجز فإن طبيبًا مشهورًا مرموقًا – عمر الحريري – هو الذي يخطف منه حبيبته سميحة – أو لبنى عبد العزيز – فى فيلم (الوسادة الخالية).

الحب الأول

وتثبت التجربة أن الحب الأول لم يكن وهمًا بالنسبة لصلاح مثلما حدث لسميحة، لكن لا شك أن الحضور الدائم لسميحة أمام عينيه وهي سعيدة مع زوجها قد أرق من حياة صلاح، فالطبيب الذي عالج العاشق الرومانسي من صدمة الفراق هو زوج سميحة؛ الذي أنقذ حياة صلاح، ثم إن هناك صداقةً قويةً تنمو بين الطرفين مما يجعل الزوجة – الحبيبة سابقًا – ماثلةً أمام عينيه حتى بعد أن يتزوج من درية، فتزوره بخيالها فوق وسادته.

وقد تزوج عبد الحليم حافظ من النساء اللاتي أحبهن فى أغلب الأفلام، وشهد تحولًا عاطفيًّا فى ثلاثة أفلام هي (أبي فوق الشجرة) و(الوسادة الخالية) و(بنات اليوم)، وقد كانت نجمات السينما اللاتي وقفن أمامه فى قمة تألقهن السينمائي، وهن يعملن أمامه ابتداءً من زبيدة ثروت وميرفت أمين وإيمان وزيزي البدراوي، ولكن أغلبهن كن متألقات سواء أمامه، أو فى أفلامهن الأخرى، وعلى رأسهن بالطبع فاتن حمامة وشادية وصباح ومريم فخر الدين.

لبنى عبد العزيز فى الوسادة الخالية

لعبت أمامه بطولة فيلم (الوسادة الخالية) كما أشرنا، وكثيرًا ما تعرضت لمقالب كثيرة من حليم، وكانت دائمًا تصدقه لأنها كانت المرة الأولى التي تتعامل معه، وكانت ما زالت فنانةً فى بداية الطريق.

وذات مرة قال لها: «لا تشربي هذا العصير لأن به ملوخية»، وفطنت لبنى لمقالبه فأصرت على شربه وقامت بدفعه فى صدره وهي تمزح معه، ووقع حليم على الأرض مغشيًّا عليه، وظنت لبنى أن ذلك أحد مقالبه أيضًا، ولكن كانت الحقيقة المرة أنها لمسته بقوة فى موضع عملية كان قد أجراها منذ فترة قريبة، وظل حليم يتألم، ويتوجع وبكت لبنى، وانهارت إلى أن تمت إفاقته وهدأ من روعها.

وذكرت لبنى عبد العزيز أيضًا – التي لعبت دور سميحة أمامه فى هذا الفيلم – أنها لم تكن تصدق أن حليم كان يتعامل معها، وهي فنانة ناشئة بهذه الطريقة الرائعة البعيدة عن الغرور والتكبر وهو فى قمة نجوميته، وأكدت أنه لم يكن بينهما أي خلافات من أي نوع.

ميرفت أمين فى أبي فوق الشجرة

شاركته فيلم (أبي فوق الشجرة) وهي فى بداية الطريق أيضًا، وغنى لها (الهوى هوايا).

وتقول ميرفت: «لم أصدق فى ذلك الوقت أني سأكون البطلة أمام حليم فى أولى خطواتي السينمائية، وقد شعر حليم بارتباكي وبالرهبة التي كانت فى داخلي، فكان حريصًا على أن يعاملني بمنتهى الرقة والتشجيع والبساطة، ولم يكن يشعرني أبدًا بأنه النجم الكبير المشهور، وبأنني مجرد ممثلة فى بداية الطريق. وأعتقد أنه لا يوجد شخص يختلف مع شخصية مثل شخصية حليم لأنه فنان رقيق وإنسان طيب».

فاتن حمامة فى موعد غرام وأيامنا الحلوة

عملت سيدة الشاشة العربية وحليم فى السينما من خلال فيلمي (موعد غرام) و(أيامنا الحلوة)، وعن ذكرياتها معه كفنان وإنسان قالت الفنانة الراحلة:

«شخصيته كإنسان وزميل كانت أكثر رقةً من الشخصية التي عرفه بها الجمهور كفنان. طوال وجوده معنا عند التصوير وهو بعيد عن الكاميرا كان أكثر رقةً وكان مرحًا وضحوكًا ومجاملًا. وكان رغم نجاحه الفني وتألقه بعيدًا كل البعد عن التكبر والغرور مع كل العاملين معه. حتى صغار العاملين».

ونفت فاتن حمامة أن تكون هناك خلافات قد حدثت بينهما عندما عملا معًا، وقالت:

«عبد الحليم كان فنانًا واعيًا وذكيًّا وفاهمًا، وتهمه مصلحة العمل الذي كنا نشارك فيه معًا، ولأنه كان واثقًا من نفسه وقدراته الفنية لم تكن لديه الغيرة الحمقاء التي تكون السبب دائمًا وراء خلافات الفنانين».

نادية لطفي: الخطايا وأبي فوق الشجرة

عملت معه فى فيلمي (الخطايا) و(أبي فوق الشجرة). وهي فى فيلم (الخطايا) جميلة رقيقة ورومانسية بطبيعتها؛ لكنها تفجرت بما أضافه إليها حسن الإمام من تمرد ومن هزيمة أمام الحب.

وقد تردد أنه كانت هناك خلافات بسبب القبلات الساخنة التي كانت بينها

وبين حليم فى الفيلم الأخير، ولكنها نفت ذلك وأكدت أنها إشاعات كاذبة، وقالت:

«لو أنني كنت اعترضت على تصوير مثل هذه المشاهد، لكان ذلك من حقي وقبل بداية التصوير، ولا ألجا إلى حيل ساذجة لأنه من المستحيل أن يجبرني أحد على تصوير مشاهد لم أكن مقتنعةً بها. فقد كنت أنا وحليم أصدقاء منذ أيام فيلم (الخطايا) ونحن أصحاب وأصدقاء إلى أبعد الحدود، وهو أكثر فنان تعاملت معه وعاملني برقة شديدة، وأنا أكثر ممثلة (دلعها) حليم فى الشغل وبعيدًا عن الشغل. كان دائمًا يسأل عني ويطمئن علي».

الباب الثالث عشر:
العندليب فى دولة الطرب

من المرأة التي كانت وراء خصومة حليم مع صلاح نظمي!

كانت الدنيا تتغير وفى انتظار مطرب مثله. فالفترة التي بدأ فيها حليم الغناء كانت مهيأةً لاستقبال مطرب متميز فى موهبته وذكائه الفني، قادر على أن يكسر القوالب الموسيقية المتوارثة عبر أجيال سابقة، لتختفى به ومعه الموشحات والطقاطيق وتظهر قوالب جديدة تواكب أحداثًا سياسيةً كبرى.

واستغل حليم هذه الأحداث لمصلحة الأغنية الوطنية التي وجدت آذانًا صاغيةً لدى الجماهير إلى جانب أغانيه العاطفية التي كانت فتحًا جديدًا فى الشكل والمضمون. لقد كان حليم منذ البداية سابقًا لعصره؛ فنجح وتفوق وأبدع وأصبح نجمًا وهذا النجاح سر خلوده وسر عظمته إلى الآن.

حليم ومذيعات التلفزيون والإذاعة

مهما تعددت غرامياته وقصص حبه وعلاقاته النسائية؛ كان عبد الحليم يفكر ٢٤ ساعة فى اليوم فى فنه، ويبحث عن كلمة جميلة ولحن رائع أينما كان.

كان يجلس مع بليغ حمدي ومرسي جميل عزيز ساعات طويلة للوصول إلى أغنية، وكان مخلصًا لفنه لدرجة أنه وهو فى قمة الشهرة كان يركب سيارته ويذهب إلى مبنى الإذاعة، يدخل على نجوى إبراهيم وإيناس جوهر ومنى جبر وتهاني حلاوة وصديقة حياتي وحكمت الشربيني، يداعب كل واحدة فى موقعها ويقول لها: «أنا بقالي كتير ما سمعتش أغنية كذا لعبد الحليم». وكأنه يتحدث عن مطرب آخر.

ثم ينزل من مبنى الإذاعة ويركب سيارته، وهو فى الطريق إلى بيته فى الزمالك يدير مؤشر الراديو فى السيارة ليجد أغنية (أهواك) على الشرق الأوسط، وأغنية (بحلم بيك) فى صوت العرب، وعددًا من الأغنيات الأخرى على محطات الإذاعة الأخرى، مع أن حليم كان فى ذلك الوقت فى قمة الشهرة ويستطيع أن يرفع سماعة التليفون ويكلم وزير الإعلام ليذيع أغنياته، لكنه كان حريصًا على أن يروج لفنه بنفسه، كان مثل مندوب المبيعات يسعى لتسويق فنه بنفسه حتى وهو فى قمة مجده.

سب وقذف

وكان حليم على موعد فى حوار مع المذيعة سناء منصور من خلال برنامج (أوافق. أمتنع)؛ الذي كان يعده مفيد فوزي عام ١٩٦٦، وكان من ضمن أسئلة البرنامج: أكون شجاعًا ولا أمتنع أن أقول إن أثقل دم ممثل هو...

وبلا تردد أكمل عبد الحليم العبارة قائلًا: صلاح نظمي.

فجُنَّ جنون صلاح نظمي واعتبر الموضوع إهانةً له، وطلب من محاميه علي حسان الشريف رفع قضية سب وقذف ضد عبد الحليم. ورفض صلاح نظمي التراجع عن قضيته التي كانت تحمل رقم ١٣٢٤، ونُظرت بجلسة ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ بمحكمة جنح بولاق، وطلب المحامي أن تكون المذيعة ومعد البرنامج موجودين أيضًا مع حليم يوم الجلسة. وذهب الجميع إلى محكمة بولاق بشارع الجلاء، وكان لبيب معوض هو محامي حليم فى القضية.

وطالب صلاح نظمي بحبس المتهم عبد الحليم عامين وتغريمه ٥١ جنيهًا على سبيل التعويض المؤقت، ورُفضت القضية وقضت ببراءة حليم، لأن المحامي أكد أن حليم كان يقصد دور ثقيل الظل الذي يقدمه صلاح نظمي ببراعة، وليس هناك خصومة بقصد الإيذاء.

وبعد خروجهما من المحكمة دعا حليم الفنان صلاح نظمي على فنجان قهوة فى بيته، ولبى نظمي الدعوة بل عرض عليه حليم دورًا فى فيلم (أبي فوق الشجرة)، وقبله أيضًا، وهكذا تسببت المذيعة سناء منصور فى دخول حليم قاعة المحكمة ووقوفه فى القفص متهمًا.

حليم وفيروز

كانت بيروت بالنسبة لحليم محطةً رئيسيةً يتوقف عندها كلما ذهب أو عاد إلى أي بلد أوروبي أو عربي آخر؛ حيث له رصيد كبير من الأصدقاء فى العاصمة اللبنانية، ومن بين الأصدقاء المقربين جدًّا له الرحابنة، منصور وعاصي الرحباني والمطربة الكبيرة فيروز، حيث يداوم على الاتصال بهم بمجرد وصوله إلى بيروت، ويحرص فى معظم الأوقات على زيارتهم.

وفى إحدى الجلسات فى منزل المطربة الكبيرة فيروز؛ وكانت تضم إلى جانب فيروز وعاصي ومنصور عددًا من الأعضاء البارزين فى المؤسسة الفنية الكبيرة، غنت فيروز فجأةً مقطعًا من إحدى أغنيات حليم، ورد عليها حليم وغنى لها أغنية (غالي الدهب) كاملةً، وبالطبع تم تسجيل هذا الحدث الفني للنجمين الكبيرين.

وبعد انتهاء عبد الحليم من غناء أغنية (غالي الدهب)؛ وقبل أن تنتهي الجلسة تم الاتفاق بين الرحابنة وعبد الحليم حافظ على أغنية (ضي القناديل، والشارع الطويل)، وكان أول تعاون بين الرحابنة وحليم.

حليم ونجاة

كان الشاعر الكبير كامل الشناوي من أكبر المتحمسين للصوت الشاب عبد الحليم، وقد راهن الشناوي بقلمه على عبد الحليم، وتحمس له إلى حد كبير؛ فكان يكتب عنه ويعرفه على الصحافيين وكبار الكتاب، ويطلب منهم أن يسمعوا له لأنه النجم القادم، وهو أيضًا الذي قدمه للكاتب الكبير مصطفى أمين الذي لعب بدوره دورًا مهمًّا فى حياة عبد الحليم.

وفى أوائل الستينات وأثناء جلوس عبد الحليم مع كامل الشناوي فى التراس بفندق سميراميس – وهو المكان المفضل لكامل الشناوي فى تلك الفترة – قال حليم فجأةً: «كل الحب الذي بيننا يا كامل بيه وكل حماسك لي، وحتى الآن لم أغن أي قصيدة من قصائدك».

ثم استطرد قائلًا: «مثلًا كنت أتمنى أن أغني قصيدة (لا تكذبي)، لكنها نجحت والحمد لله بصوت نجاة».

ورد الشناوي قائلًا: لو تحب تغنيها غنيها؛ فقد غناها عبد الوهاب بعد أن غنتها نجاة، وقد نجحت بنجاة ونجحت بعبد الوهاب.

وكان ما قاله كامل الشناوي بمنزلة الضوء الأخضر لعبد الحليم، فغنى قصيدة (لا تكذبي) فى أول حفل يحييه، وكانت هذه فاتحة خير لعبد الحليم، حيث غنى بعدها من قصائد كامل الشناوي قصيدة (لست قلبي) ثم قصيدة (حبيبها، لست وحدك حبيبها).

ليلى غفران

لقد اختارت الطريق الصعب واختارت أصعب ثلاث أغنيات من أغنيات عبد الحليم لتغنيها فى ألبوم غنائي صدر فى سوق الكاسيت قبل عدة سنوات، ومن بينها أغنيات (جبار) و(حبك نار)، وطُرِح الألبوم باسم (ملامح).

ووجد هذا الألبوم قبولًا فى سوق الكاسيت، ونجحت ليلى غفران فى الوصول إلى أعماق أغانيه؛ لتغني هذه الكنوز الفنية الجميلة التي قالت عنها إنها ساهمت فى ترسيخ مكانتها الغنائية على ساحة الغناء العربي.

وأوضحت غفران أنها استفادت كثيرًا من تلك التجربة التي جاءت على يد الموسيقار الراحل محمد الموجي لأن الألحان التي غنتها كانت من ألحانه، وقالت: «أعتقد أن الغناء من خلال هذه التجربة الصعبة كان له مردود طيب؛ خاصةً بعد أن حققت التجربة النجاح،

وأيضًا غنيت تلك الأغاني بصوتي وطريقة أدائي».

وردة

تقول وردة: «كنت أستعد ذات يوم لتقديم أغنية (بلاش تفارق) التي كتبها الشاعر الغنائي محمد حمزة وكان عبد الحليم حافظ سمع بروفاتها باللحن، وكانت الأغنية ستُقَدم على مسرح قصر النيل. وفُوجِئت ليلة الحفلة أنه صعد على خشبة المسرح وقدمني للجمهور، وقال لهم: إنني سمعت هذا اللحن، وأُعْجِبت به جدًّا، وأعتقد أنه سينال إعجابكم، فصفق له الجمهور ثم خرج».

فى بيت مها صبري

كان عبد الحليم محرومًا من جو الأسرة، يبحث عن الونس، وكان البيت الوحيد الذي يرتاح فيه غير بيته هو بيت مها صبري فى جاردن سيتي.

وكانت مها صبري متزوجةً من علي شفيق مدير مكتب عبد الحكيم عامر فى ذلك الوقت، وكان من المفترض أن يكون هذا البيت مثل ثكنة عسكرية، لكن مها بكرمها وبساطتها وأصولها التي تنتمي إلى باب الشعرية؛ نقلت أخلاق أولاد البلد من باب الشعرية إلى منزلها فى جاردن سيتي، حتى أنها كانت تصنع فساتينها بنفسها على ماكينة خياطة مع أنها كانت تستطيع أن تشتري أغلى فستان من أغلى محل ملابس.

المهم؛ حولت مها صبري أو مها بيتها إلى حالة من الدفء، وكان عبد الحليم يذهب؛ فيجد الأكل الخفيف: (العشاء ريشة بتلو مشوية مع شوية بطاطس بوريه ولقمة توست والشاي أبو ريحة والإفطار شوية فول من غير قشر وبسكوتة وشوية قراقيش مع الشاي).

وكانت مها صبري تتعامل مع عبد الحليم وكأنه واحد من أبنائها مصطفى ونجوى وفاتن، وكان هو يترك الدنيا كلها ويهرب إلى ذلك البيت.

ثنائيات عبد الحليم

من ثنائيات الراديو التي قدمها عبد الحليم مع نجوم الأربعينات والخمسينيات نذكر ثلاثة ألحان للملحن القديم عبد الحليم علي، وشاركته الغناء فيها يسرى توفيق، وكانت الأغنية الأولى باسم (هل الأمل والنور وياه)، والثانية (طمني وابقى اسأل)، والثالثة كانت (ما أحلى القمر والنيل).

وقدم عبد الحليم حافظ ثنائيةً مع المطربة نادية فهمي باسم (الفجر بدا)

من كلمات إمام الصفطاوي وألحان محمود الشريف، وغنى دويتو أيضًا مع سعاد مكاوي فى لحن وضعه الموسيقار كمال الطويل باسم (أنا ولا أنت، ومن فينا جدد أمانينا)، كما غنى مع المطربة فايدة كامل فى دويتو باسم (محلاها الدنيا فى عنيه) من ألحان عبد الحميد توفيق زكي.

أما أول أغنية وطنية قدمها عبد الحليم حافظ بطريقة الدويتو فهي تلك التي قدمها مع عصمت عبد العليم فى مناسبة ثورة ١٩٥٢ وكانت باسم (العهد الجديد)، وغنى حليم مع المطربة برلنتي حسن دويتو غنائيًّا باسم (أنا أهواك وأعيش بهواك) فى فيلم (بائعة الخبز) إخراج حسن الإمام، وذلك على خلفية صورة البطل شكري سرحان بينما كانت تغني برلنتي حسن على خلفية صورة ماجدة بطلة الفيلم، لأن حليم لم يكن ممثلًا فى هذا الفيلم.

ولكن عندما اتجه حليم إلى السينما وأصبح ممثلًا بداية من فيلمي (لحن الوفاء) و(أيامنا الحلوة) عام ١٩٥٥ قدم حليم ٥ ثنائيات سينمائية غنائية شهيرة.

فقدم مع شادية؛ التي كان يصفها بأنها مطربته وممثلته المفضلة، ثلاثة أفلام؛ كانت بدايتها فيلم (لحن الوفاء) الذي قدما فيه معًا دويتو (احتار خيالي) تأليف محمد علي أحمد وألحان حسين جنيد.

وفى الفيلم نفسه غنى حليم دويتو مع شادية أيضًا باسم (تعالي أقولك) من تأليف فتحي قورة وألحان منير مراد وهو من أفضل الثنائيات السينمائية، وقدم حليم معها أيضًا دويتو (إحنا كنا فين) فى فيلم (دليلة)؛ الذي أخرجه رائد الإخراج السينمائي محمد كريم.

أما فى فيلم (معبودة الجماهير)، وهو الفيلم الثالث مع شادية، وكان من إخراج حلمي رفلة؛ فقدما أشهر دويتو سينمائي (حاجة غريبة) من كلمات حسين السيد وألحان منير مراد.

والواضح بالتأكيد أن ثنائيات حليم السينمائية مع شادية كانت أقوى وأكثر تأثيرًا وشهرةً من ثنائياته فى الإذاعة لاختلاف الوسيلتين فى التأثير الإعلامي.

الباب الرابع عشر:
الحب الأخير و ما قبل الرحيل

هذا الدجال الذي ضحك علي وأوهمني بالحب وصدقته

حليم والحب: كلمتان تتقابلان كثيرًا، تتعارضان أكثر، وفى النهاية يصل الحب إلى محطة الفشل؛ حيث إنه لا يُتَوج بالزواج، فهل كان حليم يخشى الحب؟ وهل كان يضحك على قلبه ومشاعره؟ وهل كان بالفعل يحب فى حياته حبًّا حقيقيًّا؟ أم أنه كان مجرد تاجر عواطف شهير؛ تلاعب بعواطفه وبمشاعر الأخريات؟

الغريب حقًّا أنه يعترف بأن ملخص قصص حبه تستطيع أن تستشعره من خلال أغنيته الشهيرة (قارئة الفنجان)؛ تلك الأغنية التي تسمعها لتجد نفسك فى واد آخر غير الذي كنت تعيش فيه، وفى دنيا أخرى غير التي تحياها، وهي أغنية من أغنيات القمة فى حياته، وهي الأغنية التي رسمت خط النهاية فى مشواره، وكأن حليم استشعر بأن العمر أوشك على الانتهاء؛ فوضع فيها كل خبرته وسنوات عمره ونضجه الفني والإنساني.

قارئة الفنجان

كان عبد الحليم حافظ فى الأيام الأخيرة من حياته قد تحدث بصراحة عن قلبه ومشاكله العاطفية، وذلك بعد أن شرع فى البروفات الخاصة بأغنية (قارئة الفنجان)، وقال:

«إنها ليست مجرد أغنية فى حياتي بل تكاد تكون أقرب الأغاني التي قدمتها إلى قلبي؛ لأنها بصراحة ارتبطت فى عقلي ووجداني بقصة الحب التي أعيشها بكل أحاسيسي. لقد وُلِد هذا الحب وعاش مع قارئة الفنجان».

«كل هذا الذي يفيض من كلمات القصيدة الرائعة التي كتبها الشاعر الكبير نزار قباني؛ لم يكن إلا تعبيرًا عن قصة حبي التي ما تزال سرًّا خاصًّا فى قلبي وحياتي ولا أحد يعرفه، وحتى أقرب المقربين لي كانوا لا يعرفونه ولا يعرفون حتى اسم أو صورة هذه الانسانة التي أعيش معها قصة حبي الجديدة».

«لقد عشت الحب الحقيقي مرتين فى حياتي، المرة الأولى كانت مع الانسانة التي ماتت ونحن نستعد للزواج. قتلتها الجرثومة الخبيثة وقتلت معها كل أحلام الاستقرار. أما المرة الثانية فهي التي أعيشها وأجد كل معانيها فى قارئة الفنجان».

«هذا هو الحب العميق الذي عرفته فى حياتي وقصته حدثت بالصدفة ودون توقع أو انتظار، بل أستطيع القول إنها انتشلتني من ظروف صعبة. كان من الممكن أن أكون إنسانًا آخر لو لم أعرفها، والله وحده يعلم إذا ما كانت تحبني كما أحبها، وهل تبادلني هذا الإعجاب

عن حب حقيقي؟ وهل هو حب متبادل بالدرجة نفسها بيننا نحن الاثنين؟ لكن إحساسًا قويًّا داخلي يؤكد لي أنها تبادلني الشعور نفسه».

حبيبته من تكون؟

لكن ما تؤكده الشواهد أنه قبل مرضه الأخير كان يستعد لتجديد شقته بالزمالك؛ لكي يتزوج فيها من إنسانة ما أخفى عن الدنيا كلها من هي! وفى هذه الفترة توجد فى أوراقه كلمات عن امرأتين تحتمل كل منهما أن تكون الزوجة المنتظرة، إحداهما مصرية والثانية مغربية. وعن هذه الحبيبة المجهولة غنى عبد الحليم أغنيته الشهيرة أيضًا (حبيبتي من تكون) فى المرحلة الأخيرة من عمره.

ولأن شاعرًا كبيرًا بقامة كامل الشناوي يقول: «حليم يصدق إذا غنى ويكذب إذا تكلم»، فإننا أصبحنا فى حيرة من أمرنا: هل كان حليم مرهف الأحاسيس والمشاعر إلى هذه الدرجة؟ وهل خفق قلبه بالحب فى كل هذه القصص؟ وهل عاد وتنكر لمن أحبهم؟ وهل عاش الحب الحقيقي فى حياته، وكم مرة بالتحديد؟ ومن هو عبد الحليم الإنسان الذي دوخ بنات الناس وقلوب العذارى وجعل له عشرات وملايين من المعجبات بطول الوطن العربي وعرضه؟

عبد الحليم نفسه أمسك بقلمه فى ساعة صفاء، وكتب أدق تفاصيل حياته فى مذكراته. كتب حليم:

«لا يمكن لرجل أن يعيش من دون امرأة، لكنني كنت دائمًا أخاف أن تتطور أي علاقة بيني وبين أي امرأة. إني أسحب البساط دائمًا من تحت أقدام كلمة (بحبك).. إنني أعرف العذاب وراء هذه الكلمة؛ لذلك حولت قلبي إلى ملعب عاطفى كما يقول أحد الأصدقاء، وكما قال لي الطبيب النفسي».

«وقد قلت للطبيب النفسي: أنا لا أعرف لماذا أتردد دائمًا فى إقامة علاقة عاطفية، وسألني الطبيب عن الأغنية التي أعتبرها تلخيصًا لقصة حب أساسية فى حياتي. وبدأت أغني: (فى يوم.. فى شهر.. فى سنة.. تهدى الجراح وتنام، وعمر جرحي أنا أطول من الأيام)».

«صمت الطبيب الأجنبي وطلب ترجمة الكلمات وترجمتها له، فقال لي: غريب أنت! أنت ككل الفنانين فى هذه الدنيا. أنت تعيش عمرك دفعةً واحدةً».

تجارب حب

ويردف حليم: «أحببت كثيرًا، وجربت الحب مرات، وخرجت من تجاربي

بضرورة أن أعيش لفني فقط. وقد كدت أتزوج فعلًا من إنسانة أحببتها من خارج الوسط الفني، لكنني لم أُوَفق فى الزواج منها لأن هناك ظروفًا كانت فوق إرادتنا. وكانت الظروف من ناحيتها وليست من ناحيتي أنا، وبسبب تلك الظروف طلقت الزواج وقررت أن أغني للحب ولا أزامله بورقة يوقع عليها مأذون واثنان من الشهود».

«إنني لا أثق تمامًا فى المرأة، هناك دائمًا جانب من الشك القاتل ليس سببه أنا، ولكن طبيعة تكويني، فأنا أحس أن المرأة دائمًا يمكن أن تموت ... »

«أمي ماتت عني، ولهذا فالغناء هو اقتراب من المرأة التي أمثل لها وعليها، وعندما أدخل فى علاقة صداقة مع امرأة فإن هناك نوعًا من التوجس الخفى الذي يملأني. وأبدأ فى الغناء. إن الغناء ينسيني الشك القديم. أحس أنني عندما أغني لموت الحب أتنبأ بمصير علاقاتي العاطفية».

رغبة فى المرأة وخوف منها

«وكانت رحلتي مع الغناء تنبؤًا مستمرًّا مني بعلاقتي مع المرأة. ولا أنسى أبدًا موقف من أحببتها وأخلصت لها وماتت عني بعد أن اخترنا معًا أثاث البيت. كنت أحس أنها تنضم إلى عالم الخيانة، وأصبح غنائي بعد ذلك هو اقتراب من المرأة وخوف منها تمامًا كما قال لي الطبيب النفسي».

«ولا أحد يعرف أنني أنظر إلى الكلمات التي أختارها فى أي أغنية لأجد فيها هذا الموقف. الرغبة فى المرأة والخوف منها. أحلام كثيرة ودموع كثيرة، لكن حزني ليس واقفًا فى مكانه؛ إنه حزن يمشي ويتحرك».

«الحب الأول كما وصفه إحسان عبد القدوس تمامًا هو الحب الذي يعيشه الإنسان. لا يوجد حب أول وحب ثان. لأن الإنسان إذا كان يحب امرأةً ويعيش على ذكرى حب سابق يكون فى هذه الحالة لا يحب الإنسانة التي يعيش معها».

وقال حليم:

«أتمنى أن تكون هناك إنسانة يمكنني أن أقول إنها تصنع معي رحلة عمر سعيدة. وإن المرض على أبواب النهاية، وآن أن ينتهي السبب الذي يجعلني هاربًا من الزواج؛ لأني لم أكن أريد أن أزعج واحدةً أحبها بنوبات النزيف وبالسقوط فى المرض».

حليم الذي لا يعرف الحب

أتساءل: «هل أنا أعرف الحب رغم أنني أغني له؟»

ويجيب حليم عن سؤاله بنفسه: «إنني لم أعرفه إلا قليلًا. كلما اقتربت من امرأة أحبتني، وكلما عرفت امرأةً قد أقول لها الكلمة الحلوة (أحبك)، وقد أهديها دبلةً من شعر الفيل المخلوط بالذهب، وقد أقول لها كلمات عن نفسي وأكون مخلصًا فى قولي. ولكني دائمًا أهرب أو دائمًا تأتي ظروف تجعلني لا أطيق الاستمرار فى العلاقة العاطفية».

«ماذا أريد بالضبط من المرأة؟ إنني أعرف جيدًا أن فرصتي كمطرب تضعني دائمًا وضع الحلم بالنسبة للمرأة، ولكن ماذا أريد أنا من المرأة؟ أنا أكره المرأة وأتمناها فى الوقت نفسه».

هروب من الزواج

«يُخَيل إلي أن هناك دجالًا كبيرًا أراد أن يخدع كل الناس. الرجال والنساء فقال لهم: ابحثوا عن الحب. ولأن المسألة لا تتعدى أكثر من أن ينظر الإنسان فى المرآة ليجد نفسه جميلًا أو غير جميل، ولأن المسألة يمكن أن تشغل الإنسان عما يفعله الدجال بمستقبل الناس، لهذا فرح السذج بهذه الكلمة وتعذبوا من أجلها، وكنت أنا أحد الذين يصدقون الدجال. وكنت أيضًا أعرف أنه دجال. لكنني لا أقول لأحد، لهذا أبحث عن الحب ولا أصدقه».

إذًا؛ هذا ملخص لحالة حليم وحبه، وكيف كان يراه بعد أن خدع عشرات النساء اللاتي وقعن فى شباكه الغرامية.

وهناك حوار نادر سجله حليم للتلفزيون السوري ذكر فيه بالنص عندما سأله ...

المذيع: كثيرون يسألون لماذا لم يتزوج عبد الحليم حتى الآن؟

فقال حليم: الزواج لا يأتي بقرار أو أنني أنزل للبحث عن عروسة. دائمًا يأتي نتيجة إحساسات وتفاهم وحب.

فسأله المذيع: ألم تحب؟

فقال حليم: لا طبعًا؛ عشت قصة حب.

فسأل المذيع مرةً أخرى: والذي يحب يتزوج فى النهاية؟

فأردف حليم: كله على الله. أنا أتمنى.

فأكد المذيع بسؤال آخر: نحن نريدك أن تتزوج وتنجب لنا طفلًا صوته حلو مثلك؟

فاختتم حليم إجابات الحب فى هذا الحوار قائلًا: مش مضمونة الحكاية... فالأستاذ عبد الوهاب ليس فى أولاده أحد أحب الغناء.

النحس فى حياته

وإذا كان الناس فى حيرة من أمر هذا الفنان الغريب فى حبه والذي كان يعيش قصصًا كثيرةً من الحب، اختزلها فى قصتين على الأرجح ووصفهما بالحب الحقيقي. إذًا؛ ماذا كان يفعل فى القصص الأخرى؟ وكيف كانت تجربته العميقة مع السندريلا والتي أفردنا لها ملفًّا كبيرًا؟

كان هناك من يسأل حليم وقت ذروة قصة حبه مع سعاد: «يا عبد الحليم نحن لا نصدق أنك لم تحب مرةً واحدةً فى حياتك. فهل هذا صحيح؟»

فقال حليم: «أنا لم أحب قط فى حياتي وأقسم على ذلك برحمة والدتي، وهذا القسم هو أعز قسم عندي وأقول لك السبب. نشأت وأنا أعتقد أنني إنسان سيء الحظ شؤم. نحس. وذلك لأن والدتي ماتت وهي تلدني، ثم مات والدي بعدها مباشرةً. فنشأت منطويًا على نفسي حتى أنني كنت أخاف أن يلحق طالع النحس الذي يلازمني الضرر بإخوتي الذين هم كل ما تبقى لي فى الحياة».

«نشأت فى الزقازيق وكل ما يشغلني نحسي ولقمة العيش، وعندما يكون الإنسان مشغولًا بحظه السيء ومعدته، فلا أعتقد إطلاقًا أنه يجد الوقت للحب».

«لذلك مرت أول مرحلة فى حياتي من دون أن يتحرك قلبي، وجئت للقاهرة وأصبح هناك نساء كثيرات فى حياتي ولكن نساء بلا حب. وأنا إذا أحببت لا أنظر إلى الشكل؛ لأن الشكل لا يهمني على الإطلاق. تهمني الروح قبل كل شيء. بل إن هناك عيوبًا فى المرأة تجعلها جميلةً فى نظري. تعجبني المرأة الخفيفة الدم. الأنيقة. المثقفة. ومن هذا الطراز شاهدت الكثير، ولكن فكرة الزواج لم تراودني».

«أما أهم ما يربطني بالمرأة من صلات روحية فهو الفهم المتبادل واتفاق وجهات النظر والمعتقدات الواحدة».

أما الأغنية التي يحسها حليم من أعماق قلبه فيقول عنها: «إن كل أغنياتي تقريبًا من هذا النوع. ولكن الأغنية التي تتعب قلبي هي: (فى يوم.. فى شهر.. فى سنة) بعدها أحس بأن إحساسي مرهق وأنها قد استنفدت من أعصابي الكثير لحنًا وكلامًا.

الباب الخامس عشر: نهاية رحلة العذاب والألم

فى النهاية وفى أخر فصول قصص الحب المثيرة التي عاشها، وفى آخر أيام حياته، كيف كان يفكر حليم؟ وماذا يقول عن نفسه؟

كان يقول: «أحس أن لقائي بالمرأة فيه محاولة مستميتة مني لأن أجعلها تحس برجولتي. نعم؛ لا بد لي من أن أقول ذلك وبمنتهى الصراحة، كنت أحس أن اسم عبد الحليم حافظ وشهرته وحياته كلها لا تساوي لحظة اعتراف من واحدة أقف أمامها بأنني رجل حقيقي. كنت أعرف الحقيقة الأساسية فى حياة المرأة أنها تحتاج إلى الحنان، وكنت أحس بذلك عندما ألتقي بمجموعة من الناس».

«كنت أسهر فى كل مكان. الليل صديقي الأساسي وحياتي التي أحبها، والليل عندي سهر وأصدقاء وكوتشينة ولعب».

«وعندما كنت أنزل إلى الشارع فى القاهرة كنت أعاني من مشكلة، فأنا وجه معروف، ولذلك يلتف الناس حولي ولا يهتم أحد منهم فى هذه اللحظة بماذا أريد أنا، وأرى فى العيون بريق الرغبة فى أن أتكلم مع كل إنسان على حدة وأن أسمع مشكلته على حدة، وكنت أحاول التخفيف عنهم من خلال أغنياتي لأنني كنت أرى أن الأغنية مثل الصياد الذي يصطاد الهموم من قلوب الناس».

«كنت لا أستطيع النزول إلى الشارع بمفردي فى الأوقات العادية لأنني أعرف حجم الحصار الذي سأتعرض له، وليس حصار البشر فقط ولكن حصار المشاكل والأمنيات التي اصطادتها أغنياتي من قلوب الناس، وخصوصًا أنني أختلف عن أم كلثوم؛ فهي امبراطورة فى نظر الناس، وعبد الوهاب لا يسمح لنفسه على الإطلاق بالمواجهة المباشرة بينه وبين الناس».

«أما أنا فلي وضع مختلف، فظهوري إلى الناس معناه ظهور صديق أستمع له من حوله، وأُعْجِبوا به وصفقوا له وجعلوه المغني الخاص لكل منهم، ولذلك كنت لا أسير فى الشارع إلا فى شهر رمضان وقت الغروب، وأستمتع بالنيل، وأمشي فى شارع فؤاد، وأقف أمام (فتارين) شارع سليمان. كنت فى الشارع أفعل كل شيء فى هذا الوقت».

حقيقة مؤلمة

ولكن؛ وكما يذكرنا الكاتب مفيد فوزي أن حليم كان يقول عندما يقف أمام المرآة:

«أنا كمعظم الناس. أدقق فى ملامحي وأكتشف حقيقةً مؤلمةً هي أن كثرة النزيف وكثرة نقل الدم لي وكثرة الإرهاق وازدحام الأحلام؛ كل ذلك جعل ملامحي تتغير. لم أعد أنا الشاب الذي يفخر بوسامته الخاصة أمام الفتيات والنساء والمعجبات».

«نعم؛ كان لوجهي منذ الصغر جاذبية خاصة، وكنت أحس أن هالة القبول موجودة فى ملامحي. مقبول الشكل عند كل إنسان يراني. ولكن الإجهاد الطويل والخصام الشديد بيني وبين المرض الذي يسكن داخلي؛ هذا الإجهاد وذلك الخصام جعلاني أبدو مجهدًا طوال الوقت وحزينًا معظم الوقت، وتضخم أنفى كثيرًا، ودخلت عيوني كثيرًا فى جمجمتي، وأصبحت هالات السواد حول جفوني تزداد، ولولا شعري الطويل لازداد شكلي (وحاشة)».

«وكنت أسأل نفسي عندما تُعْجَب بي فتاة ما: ما الذي يعجبها فى شكلي؟ إنني حالة مرضية طويلة. أنا لا أحتاج إلى احتضان بقدر ما أحتاج إلى سرير فى مستشفى أرقد فيه إلى الأبد أو إلى أن أُشْفَى».

شاب بلا شباب

ويؤكد حليم فى مذكراته الخاصة بقوله:

«كان وقوفى أمام المرآة من المسائل التي تعذبني قليلًا لأنني أعرف أيضًا من شكلي ما الذي يمكن أن يحدث لي. هناك نقطة من الضوء تظهر لي فى عيوني أحس عندما أراها أن النزيف سيهجم، ولذلك كنت أنظر إلى وجهي فى المرآة كثيرًا، وكنت أكره فى الوقت نفسه هذا الوقوف، لكن يختلف الأمر عندما ألتقي بامرأة».

وكما كان يقول الكاتب الكبير مصطفى أمين: «إن عبد الحليم حافظ يعيش حياة شاب بلا شباب، وكان العندليب يعترف فى الكثير من لحظات حياته إلى المقربين منه أن هذه الدنيا ليس لي فيها أي اختيار. سوف أغادرها ولكن متى. هذا هو غير المعلوم بالنسبة لي».

وعندما كان يقول له أحد من الأصدقاء أو الغرباء أو الأقارب: «خد بالك يا حليم من صحتك». كان يجيب: «يا ريت هي اللي تاخد بالها مني».

بالسهر تحدى المرض

إن حالة عبد الحليم المرضية لو تمكنت من أي إنسان لفتكت به، ودمرته، وأتت عليه قبل أن يبدأ مشواره؛ لكن إلى أي مدى حليم انتصر على مرضه؟

سنوات وسنوات وأبدع تلك الأغاني الجميلة الرائعة التي غناها وهي تقترب من ٤٠٠ أغنية. والأغنية الواحدة الطويلة كانت بمقام ألبوم من ألبومات أو سيديهات هذه الأيام التي تضم ١٠ أو ١٤ أغنية فى الألبوم الواحد وكل أغنية كلمتان والسلام.

لكن أغنيات حليم الطويلة التي يمتد الزمن بها إلى قرابة الساعة أحيانًا؛ فإنها عاشت فى زمنه وفى الزمن الماضي بعد رحيله وفى الزمن الحاضر الذي نحياه، وفى الزمن القادم لأنها أغان تجدد نفسها بنفسها بما يؤكد أن حليم كان سابقًا لعصره. حتى أنه أُطلِق عليه مطرب الثورة حين غنى الجمهور أغانيه، وكأنها وُلِدت مع ثورة ٢٥ يناير و٣٠ يونيو.

أغنيات عاشت وستعيش طويلًا مع الزمن لأنها كُتبت بصدق ولُحِّنت بصدق، وقدمها حليم بكل وجدانه وأحاسيسه بصدق أيضًا، وهذا سر بقاء أغانيه مهما مر عليها الزمن. لذا لا بد من التأكيد أن سر نجاح حليم هو الصدق، وهو الحب الذي عاشه حتى لو كان يكذب على نفسه وعلى مشاعره وعلى الآخرين؛ الذين وقعوا فى غرامه واصطادتهم شباك أبو عيون جريئة.

وكم كان بعض الأصدقاء ينصحونه بعدم السهر كثيرًا. كان يقول: «ما تسيبوني أعيش اليومين اللي فاضلين. ما أنا فاهم كل حاجة وعارف أن الطب بعد مشيئة الله بيزود أيام عمري شوية. لكن المفروض أكون ودعت».

ولهذا كان حليم يسهر حتى الفجر ثم ينام، وربما هذا كان سبب خلاف حليم مع طبيبه زكي سويدان. فقد كان سويدان يشكو لسيد كريم من عبد الحليم فى البدايات، ويقول له: «إن حليم يتصرف كأي إنسان مُعَافى لا يشكو من شيء، ولا يتبع أي تعليمات، ويسهر برغم أنه أقسم لي أنه لن يفرط فى صحته بالسهر».

فلما نقل سيد كريم الملحوظة إلى حليم، قال العندليب: «وماله لما أتصرف مثل أي إنسان ليس مريضًا؟ وإيه يعني لما أنسى بعض الوقت أن فيه لحظة ما سوف يخرج من فمي خرطوم دم؟ وما المشكلة عندما أضحك على نفسي وأخدع نفسي بأنني بصحة جيدة؟!».

وكان عبد الحليم – كما يصفه أنيس منصور – له مظهر يخدع الناس، فلا هو شاب ككل الشباب ولا هو سعيد كما يحسده الناس.

غناء ينزف حبًّا وعذابًا

كان حليم وهو يغني لنا ينزف حبًّا وعذابًا فنهز الرؤوس طربًا وسعادةً، وفى الوقت الذي يكون النزيف الرهيب كالوحش الكاسر متربصًا بفريسته على أقرب محطة وصول ليقفز عليها؛ فإذا ما اقترب منها افترسها، وكذلك النزيف كان إذا داهم حليم هز رأسه ألمًا وتعاسةً وشقاءً وحالةً مرضيةً مزمنةً.

إن حليم من وجهة نظر الكاتب أحمد بهجت فى مرثية مرضه الأخير قال: إن عبد الحليم أسير الفراش الذي تبتعد عنه الحياة بخطوات واسعة، ويقارب منه الأجل بخطى أوسع.

ولو كان عبد الحليم قد طاوع شقيقه محمد شبانة وعالج نفسه من البلهارسيا وهو فى الثانية عشرة من عمره فى المستشفى الأميري بالزقازيق لما أصبح النزيف شريكًا له فى الحياة. فعلى مدى ٣٠ عامًا التصق حليم بالسرير، وعاش رحلة الألم الهائلة؛ يموت أكثر مما يعيش، ولم يصدق الناس أنه كان يتألم إلا بعد أن مات.

لقد كانت فردوس ابنة خالته تتابع حالته وكانت تقتحم عليه حجرته ليلًا كل ساعتين لتطمئن عليه خوفًا من أن يهاجمه النزيف فى أي وقت، كما كانت شقيقته علية تقوم بالدور نفسه أيضًا. إنه عبد الحليم حافظ الذي عاش حياته؛ بعضه يمزق بعضه، والذي لعب مشرط الجراح فى جسده النحيل كما يلعب الرسام بفرشاته فى لوحة تشكيلية جديدة.

حالة نادرة

إن حليم حالة نادرة وقد أعطاه الله حبًّا لا يُقَارن فما زالت الاحتفالات تُعْقَد له فى ذكرى رحيله، والتي كانت فى الثلاثين من مارس عام ١٩٧٧.

وعلى مدى ٤٠ عامًا ظل حليم بعد موته متربعًا أيضًا على عرش الغناء، وألبوماته كانت تُوَزع فى السنة أكثر من ٦٠٠ ألف شريط، ويبقى أن نعرف أن حليم هو الفنان الوحيد الذي عاش حياةً معذبةً، لا هو كان مرفهًا وبصحة جيدة على مدى يقترب من قرن من الزمان مثل الموسيقار والمطرب محمد عبد الوهاب، ولا وُلِد وفى فمه ملعقة من الذهب وسليل عائلة الملوك والأمراء كالموسيقار والمطرب فريد الأطرش، ولا هو مؤسسة خاصة التفت حولها كل طبقات الشعب ومؤسسات الدولة مثل أم كلثوم؛ التي وصف صوتها بالصوت الرجولي لقوة حنجرتها التي كانت تزلزل مسرح الغناء بميكرفون معلق فى سقف المسرح أو من دون ميكروفون.

إنه فقد أمه أول ما فتح عينه للحياة من دون أن يراها وتوالت على رضاعته أكثر من ٣٠٠ سيدة من سيدات القرية والقرى المجاورة، وإنه عاش ٧ سنوات من عمره فى أحد الملاجئ لضيق ذات اليد لأسرته، وإنه لم يعش سعيدًا بأي من قصص الحب الكثيرة التي تحدثنا عنها آنفًا للدرجة التي جعلته يقول فى مذكراته إنه لم يعش الحب الحقيقي قط، وإذا كان عاشه بالفعل فهو لا يتعدى تجربتين فقط.

ومن هنا عاش حليم معشوق النساء ومذوب قلوب العذارى دون أن يكون له زوجة حقيقية ولا دفء وحنان بيتي، ولا أسرة يكتنفها بحبه وحنانه، ولا أولاد يحملون اسمه ويحافظون على مسيرته التي أراد لها الله أن تستمر – من دونهم – إلى الآن وما بعد الآن، لأن حليم حالة نادرة بالفعل.. لأن عشرات من المطربين والمطربات رحلوا قبل أو بعد حليم وطوتهم صفحات النسيان، وكما لم يتذكرهم الناس لم يتذكروا أيضًا أغنياتهم إلا فيما ندر بعكس عبد الحليم وأغانيه وغرامياته وقصص حبه الحقيقية والوهمية.

من ينقذ حليم من الغرق؟

وفى النهاية نتمنى عزيزي القارئ أن نكون قد وُفِّقنا فى كشف أسرار نساء فى حياة العندليب؛ لأن من ذكرناهم من نساء فى هذه الحلقات لسن بالتأكيد هن كل النساء اللاتي عرفهن حليم. فقد تكشف الأيام القادمة والملفات المطوية نساء أخريات فى قائمة غرامياته وعذاباته وأغانيه وأفلامه وسفرياته.

حليم الذي يسكن الآن منذ ٤٠ عامًا فى شارع الرحمة فى البساتين داخل مقبرته الرخامية؛ والتي اقتربت المياه الجوفية من أن تغرقه وهي على بعد متر ونصف المتر من رفاته يطالب بالإنقاذ، ويغني وهو ميت أغنيته الشهيرة: (إني أغرق.. أغرق تحت الماء)، فهل نسارع بإنقاذه؟

(هذا ما كان يفعله المطرب الشاب محمد محمد شبانة ابن شقيق العندليب وابنة خالته ابتسام)

وهل نترحم على إنسان كان يسرق لحظات المتعة والحب من الحياة مع نساء وضعهن القدر فى طريقه؟

(انتهى)

عنتر السيد

أوبريت وحشتنا يا حليم

تأليف / عنتر السيد - ٣ / ٣ / ٢٠٠٦

يا للي كنت زى الهوا
نسمة نسيم فـ ربيع
يا للي رميت فـ بحر الهوا
حب وعشق وورد بديع
يا للي جرحك زاد وانكوا
قبل الميعاد بسنين
يا للي جرحك ما لهوش دوا
يوم فراقك كان سنين
وحشتنا يا حليم
سبتنا ورحت طاير لبعيد
وبقى حبنا حاير وملهش مواعيد
سبت الغنوة مالهاش أب
سبت الجرح زاد ع الحد
سبت الخوف من الهم يتعد
سبت الدنيا وسبت الغد
وياريتك يا حليم ما مشيت
ويا ريتك برضه ما نسيت
نسيت معاك الفرحة
وسبتنا لقلوب جارحة
وسمعنا كتير حواديت
وسمعنا الآهة يوم ما مشيت
قدرنا معاك .. أن غناك موجود
ساكن جوانا مش بمعاد ولا حدود
عدت سنة وعشرة وعشرين

ولو عدت تلاتين أربعين خمسين
أنت زي ما أنت
عايش جوانا .. عايش ويانا
ولو عايش في أي مكان
عايش بروحك وغناويك
وعشنا الفرحة معاك وليك
روح يا حليم مهما تروح
باب السما كان لك مفتوح
لا حد ف يوم ح ياخد مكانك
ولا غنى زمانا زي زمانك
إحنا خلاص بقينا شد وجذب
لا في حب ولا حنان
ولا في خوف على حب كان
ولا شوق يعوض حرمان
بقولها يا حليم خلاص
مفيش حب
مفيش إحساس
الحب ده مصالح
ولا عاد فيه شيء صالح
ولا عادت فيه قلوب بتحب
ولا عاد فيه بشر يتحب
أرجوك يا حليم ارجع تاني
وقول ايوة أنا راجع
خلينا نحب زي زمان
خلينا نودع معاك الأحزان
ياما كنت مجروح وبتغني
وآهة الألم حرقة وتمني
ولا حد كان عارف إيه الحقيقة

ولا حد شايف أبو عيون جريئة
وحشتنا يا حليم
وحشتنا لأنك ماليكش زي
ملكت روحنا
أنت وميت وأنت وحي
عمرك وأنت ميت
زاد عن عمرك الفني
والحقيقة اللي عارفنها
انك أنت جوانا
لا في يوم راح تتنسي
ولا في يوم راح تجري ورانا
وحشتنا يا حليم
وفراقك طوّل عننا
احلف بسماها وبترابها
إن الغنوة دي غنوتك
طالعة من جواك
طالعة من معدتك
راح زمن غنوتك
وراحت معاه أيام وليالي
أيام وليالي كانت حلوة
عشناها في شارع الحب
وحكينا حكاية حب
في موعد غرام
وأيامنا الحلوة كانت حلوة
وياريتها عادت تاني
ويوم ورا يوم ضاع من عمري
ونسهولي زماني
يا لحن الوفا على أجمل عود

يا لحن الشوق يا لحن الوجود
عيش معانا بلحن الخلود
و خلي الأيام دي تعود
أنا حافظك .. سامعك صم
أغانيك .. أفلامك لحم ودم
عايشة جوانا سنين وسنين
ومانقدرش نقول غير وحشتنا يا حليم
آسينا كتير من اللي فات
وصحيت جوانا ذكريات
ومهما كان عمق الآهات
الحب ده حبنا
والجرح ده جرحنا
والشوق مكتوب لنا
نقولها تاني وتاني
وحشتنا يا حليم
وبعت رسالة ورا رسالة
في ليلة حب
والحالة هي الحالة
والشفا من الرب
زي الهوى جيت ومشيت
مداح القمر قلت ياريت
حكايتك والله حكاية حب
حكايتك مهياش ضحكة
دا حكاية الم ووطن وشعب
وأي دمعة حزن من عنيك
كانت تخلي الدموع انهار حواليك
يا صوت الفن من جوة
يا صوت الحب واللمة

عنوانك كان سواح
بين بلاد الآهة وبلاد الأحباب
ورسيت على شط موجي وشط طويل
وغنيت كلام ابنودي وكلام جميل
وأغاني الثورة مع صلاح جاهين
لما كنت سابق عصرك بشهور وسنين
لما كنت نجم جيلك رغم الآهة والأنين
لما كنت تحن لغيرك من طبع الحنين
لو سألوك مين أنت
قول أنا حليم
مين أنت
أنا يتيم
مين أنت
ومين أنا
قول أنا اللي غنيت بأمر الحب
غنيت للحلوة وغنيت موعود
غنيت للسمر والعيون السود
وحشتنا يا حليم
وحشتنا ووحشتنا أيامك
وحشنا شوقك ووحشنا غرامك
غنيت للثورة ..و غنيت للوطن
ودعيت ربنا بحرقة وشجن
وكنت الغنوة اللي مش ح تموت
وكنت البسمة اللي مش ح تغيب
وكنت الجسد وكنت الروح
ملكت القلب لكن مجروح
حبيب حياتك ..كان فين يا حليم
شاف أهاتك وما كنش حنين

آه كان ليك حبيب مجهول
ولا كانش في حياتك زواج مستور
يا ما سافرت فوق تلال وبحور
ولفيت الدنيا بحالها و غنيت مغرور
وادينا يا حليم فاكرينك
ولا ضاع اسمك ولا غنوتك
وادينا يا حليم حبينك
ولا شفنا غضبك ولا ضحكتك
عايش بروحك جوانا
عايش بقلبك تملي معانا
وكل الناس بتحبك
ولا حد غيرك حبيب
الغنوة الآن مالهاش أب
غنوة لقيطة ومتعرية
ولا ليها صوت ولا صورة
واللي بتغنيها مهياش مستورة
في بانيو في حمام تلاقيها
وعلى فضائية خايبة تغنيها
ولولابسة هدوم ح تعريها
زمن العيب بقاش موجود
وزمن الغنوة معادش له وجود
فين الخشى وفين العيب
وفين الفن وفين الشيب
يا حليم أترحم على غنوتك
بقت تايهة بين أعداء
ولولا عايشة وباقية
كان زمانها بقت أشلاء
قلت لك يا حليم إحنا في زمن الغدر

وعايشين أيامنا وادينا رايحين
نتعلم الفرق بين القمر و بين البدر
آه يا حليم لو لسة فاكر
قلبي يديلك أمان
كان بقالك عندي خاطر
كان عاش قلبي ف أمان
كان عوّض كل الحرمان
وحشتنا يا حليم
يا ربيع الغنوة المصرية
يا صيف الوحدة العربية
يا صديق الملوك والأمراء
يا حبيب الرؤساء والوزراء
يا حليم يا حبيب الكل
مهما نقول ولا نعيد
كلامنا لا بيقدم ولا بيزيد
ومهما نحط الأيد في الأيد
يا للي حياتك دفتر مواعيد
فاتن وصباح ومريم
فاكرينك لسة يا حليم
ونادية ولبنى وماجدة
مش ناسيين أغانيك الجامدة
يا للي غنيت للربيع و الشجر
يا للي غنيت للسمر والغجر
وحشتنا يا حليم
ومش ح نقول عايزين نشوفك
ولا ح نقول براحتك وبشوقك
حنقول دايما دايما دايما
ناجحين في حياتنا وحبنا

ورافعين راياتنا و عزمنا
ولا في دموع ع الخد
ولا في حد أحسن من حد
كلنا مشاعر وأحاسيس
كلنا نفسنا بس نعيش
ونعيش أزاي وسط الغابة
ونعيش أزاي في الدنيا الكدابة
لكن معلش يا حليم
برضه ح نعيش ونكمل أيامنا
واللي راح راح من أيامنا ومالنا
ما هو علشان تعيش لازم تضحي
وكل إنسان باللي معاه
جهد ومال وحياه
وأنت ضحيت بالغالي
ضحيت بالروح والدم
بالعمر لما يقصر ويتلم
وحشتنا يا حليم
يا نسمة هوا في حياتنا
ع الخدود لما تهفهف
والشوق لما يزيد
ع القلوب حيخفف
دا غنوتك لسة عايشة جوانا
محفورة في قلوبنا وحشانا
مكتوبة يا حليم بدموعك
مكتوبة يا حليم بدموعك
ومش عارف مين اللي كاتبها
ومش عارف امتى وفين كتبها
لكن بقولها بأعلى صوت

بقولها بشوق وموت
وحشتنا يا حليم
وحشتنا يا حليم
غنيت بالصوت للصورة
وغنيت للحلوة الامورة
وغنيت لجمهور الكورة
وغنيت وغنيت وغنيت
وآه لما بتغني
بتخلي الدنيا تغني معاك
و آه لما تسألني
على صوت الفن واللي كانوا معاك
يا حليم .. الغنوة دي غنوتك
أنت راس مالها ودي ثروتك
أنت اللي غنتها بالآهة وبدمعتك
أنت اللي حستها بالحرقة ودي كلمتك
وحشتنا يا حليم
وأنت عارف وحشنا ليه
لا عارفين نسمع غنوة
ومش عارف بنستغرب ليه
دا الكلام مش زي الكلام
ولا عاد في اللحن شجن وأنغام
ولا صوت زي صوتك
يحس بالمعنى والغرام
وأقولها تاني وبأعلى صوت
بقولها ومش مهم الحب يموت
إحنا تعبنا وكفايانا سكوت
خلاص ارتحنا وحقنا نموت
ونتقابل بكرة يا حليم

ونتقابل ونقابل رب كريم
ف دنيا لافيها دمع ولا مظاليم
لافيها ملايين ولا ملاليم
وحشنا وحشنا يا حليم
وحشنا وحشنا يابن الحلوات
وحشنا اليوم وف كل الأوقات
ولو مليون صوت غنوا غناويك
ولا واحد فيهم ح يغنيها لينا وليك
ح يغنيها لنفسه وبس
وبرضه ما حيسمعهاش
لأنه ما صدقهاش ولا حسهاش
ولو جه يوم وغنينا زي غناك
مش ح نلاقي في اليوم ساعتين
ويا دوب نسمع من الغنوة دقيقة
وما نسمعهاش دقيقتين
وحشتنا يا حليم
لا ليك ولد ولا بنت
يحمل اسمك وصورتك جواه
ولا بعت بجنيه ولا سنت
وسبتنا نصيبك وورثناه
ومهما كان التمن يا حليم
ومهما كان الدين دينين
لا صوت الفن حنفرط فيها
ولا غنوة راح نرميها
وح نشيل أغانيك و أفلامك في عيون ولادنا
وح نشيل تاريخك ورصيدك ف قلوب أحفادنا
عارفين الأمانة دي كبيرة
وعارفين أم ضفيرة

قاعدة ع الترعة تغسل شعرها
شايلة سلاحها على كتفها
شايلة روحها وهم همها
شايلة الوطن والام
دافية الحضن والدم
يا مصر يا أم الدنيا
يا مصر يا أم الدنيا
يا مصر يا أم الدنيا

مهما عشنا فيك وليك
مهما كانت روحنا بين ايديك
عاشقين ترابك ورمالك
عارفين دروبك ودلالك
عارفينك يا مصر الام
حاسين بحضن الدفا والدم
حاسين بيك يا مصر
وحليم دا ابن من ولادك
وحليم دا ذرة من ترابك
راح في عز شبابه
راح ولا الشيب شابه
راح ومش عامل حسابه
راح ومهما راح الحب جابه

عدسة الكاميرا ترصد نساء العندليب

هذه الغرفة الضيقة هي التي ولد وعاش فيها حليم عبد الحليم حافظ

حليم ونادية لطفى

حليم وشادية

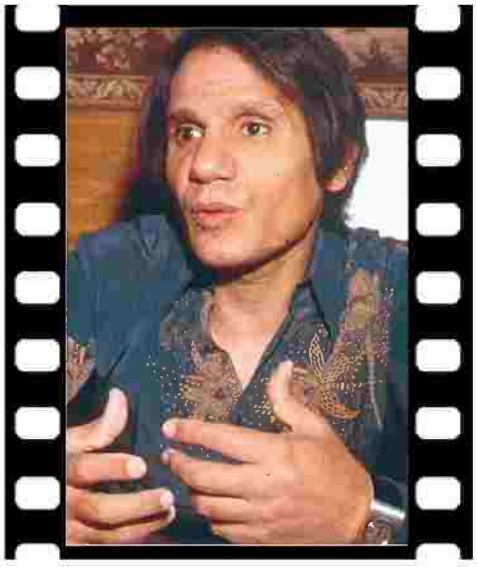

حليم ونادية لطفى

حليم ومريم فخر الدين

حليم في فيلا العجمي

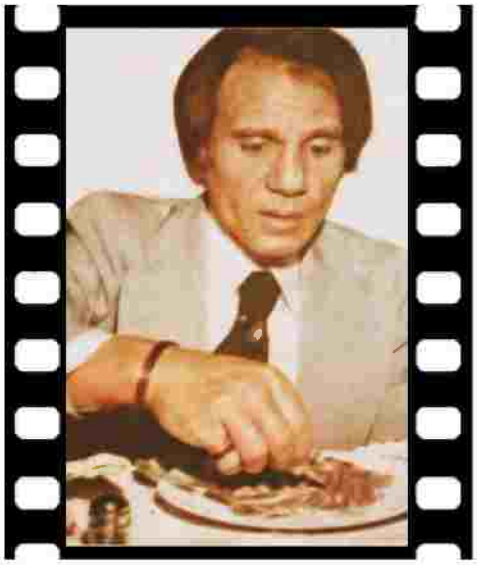

المرض حرم حليم من اطعمة كثيرة

ماجدة الصباحى

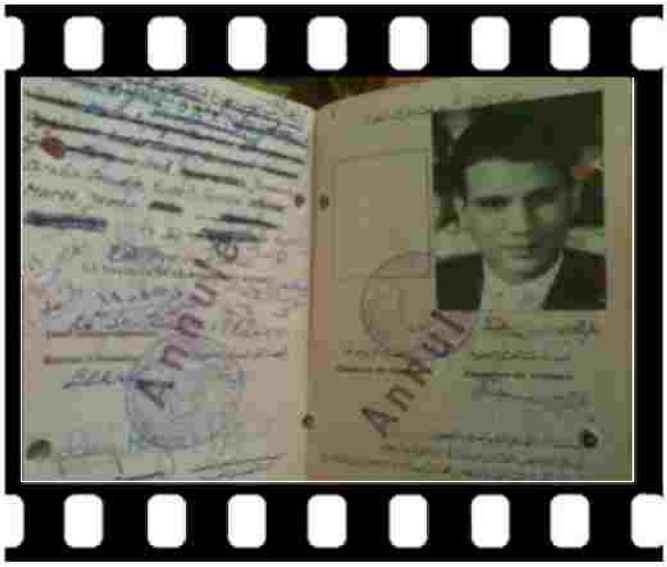

جواز سفر العندليب الذي سافر به كل بلاد الدنيا

علية شبانة تزور مقبرة شقيقها
عبد الحليم حافظ

سعاد حسني هل تزوجت
عبد الحليم حافظ؟

سيارة حليم التي اهداها له ملك المغرب

عبد الحليم حافظ مع محمد عبد الوهاب
ومجدي العمروسي

عبد الحليم حافظ مع بعض الجنود على الجبهة

وردة

علية شبانة ومحمد شبانة من عائلة عبد الحليم حافظ

هذا الملجأ هو الذي عاش فيه عبد الحليم فترة من صباه

عنتر السيد مع محمد شبانة لتسجيل بعض اسرار وذكريات حليم

عبد الحليم حافظ مع شقيقته علية وابنة خالته فردوس

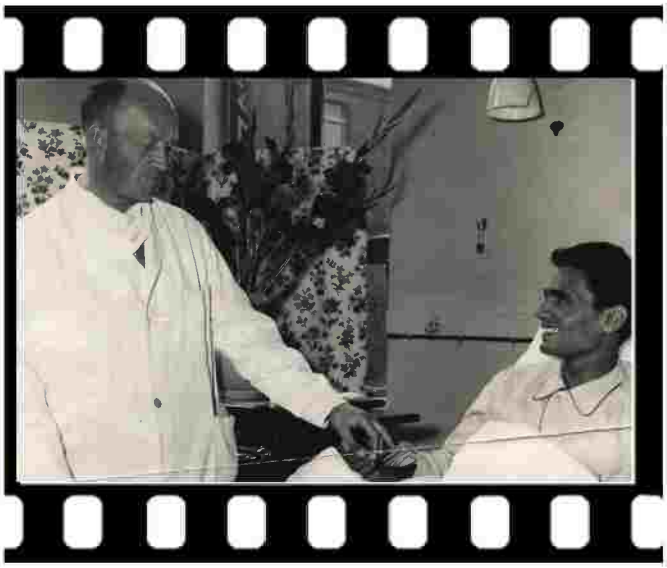

عبد الحليم حافظ مع البروفيسير تانر الذي اجرى له العملية

عبد الحليم حافظ في رحلة علاجية للخارج

ام كلثوم

عبد الحليم يقبل يد ام كلثوم

عبد الحليم حافظ ونادية لطفي وعدلي المولد امام مقصورة الوزير اللبناني جوزيف نجار

عبد الحليم حافظ وسعاد حسني ويوسف وهبي وبعض الاصدقاء في فيلا حليم بالعجمي

وردة مع زوجها الموسيقار الراحل بليغ حمدي

نادية لطفي وسعاد حسني

نادية لطفي مع عبد الحليم في فيلم ابي فوق الشجرة

حليم وميرفت أمين

فهرس الكتاب

قبل أن تقرأ
مقدمة
الباب الأول: سعاد حسني
زواج السندريلا من العندليب؛ أسرار وحكايات وألغاز!
فيلم البنات والصيف
تبادل أدوار
حكايات كثيرة عن زواجهما! لكن هل تزوجت سعاد حسني من حليم؟
مفيد فوزي يعلن السر
حبيب مخدوع
الحكيم يؤكد
تأكيد سعاد
فرقت بينهما الحياة، وجمعهما الموت
حيرة الشك والنفي
محمد شبانة ينفي
سعاد تعترف
معًا ليل نهار
سعاد صادقة
رحلت يوم ميلاده
الباب الثاني: أم كلثوم
الأسباب الحقيقية وراء الصراع بين كوكب الشرق وحليم
لماذا غنى لأم كلثوم؟
الغيرة من أم كلثوم
بداية الغضب
المواجهة
صراع الأجيال
كوكب الشرق تعلن الحرب على العندليب
قبلة أم كلثوم على جبين حليم
لقاء تحت الحراسة
حفل نادي الضباط
الحرب الباردة

رفض الاعتذار
المفاجأة
الباب الثالث: وردة وحليم: خطف، وخصام، وقبلات
وردة؛ هل دبرت مكيدة فشل حفل الربيع للعندليب؟
الغيرة والمنافسة
حليم يستفز بليغ
البحث عن بليغ وغضب وردة
ظلموه
مؤامرة فى حفل الربيع
مناوشات
عتاب وصلح
الباب الرابع: نادية لطفي
نادية: هذا حليم؛ الفنان والإنسان والحبيب والصديق الذي عرفته!
العسل والبصل والقبلات
إشاعات
خلاف وتصالح وتجارب
حليم يغني خصيصًا
حليم كما عرفته
عظيم فى حلمه وفى انكساره
خفة دم حليم
حليم الفنان والإنسان
سفيرًا للفن العربي
الباب الخامس: ديدي؛ الحب الوحيد فى حياة حليم
بكاها عند الرحيل وقال: «لن أتزوج بعدك امرأةً أخرى»
عائلة أرستقراطية
رحلة العذاب والمرض
أغنيات من وحي التجربة
جرح أطول من الأيام
نوال الحلوات والمشوار الصعب
سلاف فواخرجي
خوف ومسؤولية

قصة ليلى
الباب السادس: حكايات حب أخرى فى حياة العندليب
حكايته مع فتيات العجمي والصعيد والسعودية
لغة العيون
فتاة الشرقية
فتاة العجمي
فتاة سعودية
الراقصة ميمي فؤاد
مها.. فتاة الصعيد
ظلموا الحب والفن
الباب السابع: معجبات، وقصص حب أخرى
أحب بعدد أصابع يديه، وكان صادقًا بعدد شعر رأسه
الحب والصدق
قصة حب فريدة
نوال الرملي
نوال الحلوات
شقيقة صباح
حبيبة متنكرة
فتاة المبتديان
حليمة
أقوى حب بعد ديدي
الباب الثامن: علية شبانة؛ شقيقة العندليب لعبت فى حياته دور الأم!
هل أحبت صوفيا لورين حليم فى باريس؟
صوت لم يمت
ألا يستحق التكريم؟
علية فى مذكرات حليم
صوفيا لورين وحليم. الكل يخسر على طريقته الخاصة
بوح من القلب
دمعة فراق
الباب التاسع: سماء وأميرة ومروة!
لماذا رفضت سماء الاقتران بحليم؟

سماء ترفضه
المذيعة الهاربة
صلاح نصر يحذر حليم
أميرة اللبنانية
أميرة حقيقية
حرم سيادة السفير
مروة تدفع الثمن
الباب العاشر: شادية وفاتن ونادية. بطلات فى حياته:
رشيقة وجميلة ورومانسية
أحلام الطبقة المتوسطة
حليم وشادية
معبودة الجماهير
شيء آخر
حليم وفاتن
حليم ونادية
الباب الحادي عشر: حكايته مع بطلات أفلامه وماجدة ومريم وزيزي
أفلام فى الذاكرة
ماجدة الصباحي
آمال فريد
مريم فخر الدين
زيزي البدراوي
زهرة العلا
الباب الثاني عشر: حليم وبطلات أفلامه صباح وزبيدة ولبنى وميرفت
صباح فى شارع الحب
زبيدة ثروت فى يوم من عمري
شخصيات نبيلة
الحب الأول
لبنى عبد العزيز فى الوسادة الخالية
ميرفت أمين فى أبي فوق الشجرة
فاتن حمامة فى موعد غرام وأيامنا الحلوة
نادية لطفي: الخطايا وأبي فوق الشجرة

الباب الثالث عشر: العندليب فى دولة الطرب
من المرأة التي كانت وراء خصومة حليم مع صلاح نظمي!
حليم ومذيعات التلفزيون والإذاعة
سب وقذف
حليم وفيروز
حليم ونجاة
ليلى غفران
وردة
فى بيت مها صبري
ثنائيات عبد الحليم
الباب الرابع عشر: الحب الأخير و ما قبل الرحيل
هذا الدجال الذي ضحك علي وأوهمني بالحب وصدقته
قارئة الفنجان
حبيبته من تكون؟
تجارب حب
رغبة فى المرأة وخوف منها
حليم الذي لا يعرف الحب
هروب من الزواج
النحس فى حياته
الباب الخامس عشر: نهاية رحلة العذاب والألم
حقيقة مؤلمة
شاب بلا شباب
بالسهر تحدى المرض
غناء ينزف حبًّا وعذابًا
حالة نادرة
من ينقذ حليم من الغرق؟
فهرس الكتاب

شكر وتقدير

لكل من كان له إسهام في صدور هذا الكتاب.. خاصة
الأساتذة مفيد فوزي، ومنير عامر، ومجدي العمروسي،
ووجدي الحكيم، ومحمود قاسم، ومحمد شبانة،
وكل من استعنا برأيه في توثيق معلومات هذا الكتاب.

المؤلف
عنتر السيد